



جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

الشعر الاجتماعي في الأندلس في عهد المرابطين والموحدين

نضال سالم النوافعة

رسالة

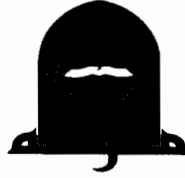
مقدمة إلى

عمادة الدراسات العليا

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة

الماجستير في الأدب قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة مؤتة، 2004م



إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب نضال سالم النوافعة بـ:
"الشعر الاجتماعي في الاندلس في عصر المرابطين والموحدين"
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

القسم: اللغة العربية وآدابها.

التوقيع	التاريخ	
أ.د. شفيق الرقب	2004/7/22	مشرفاً ورئيساً
أ.د. زهير المنصور	2004/7/22	عضواً
د. فايز القيسي	2004/7/22	عضواً
د. خليل الرفوع	2004/7/22	عضواً

عميد الدراسات العليا

د. ذياب البدائنة

الإهداء

إلى روح من أنارت دربي شموعاً تزهو في برود السنا والأمل وحثتني على
خوض لجة العلم مجد في طلب درره البكر ، أمي.
إلى من شمل الحب قلبه وامتلئك أنفاسه ذلك الحب الذي تسمعه عند خرس
السنة الحياة وتراه منتصباً كعمود النور عندما تحجب الظلمة كل الأشياء، أبي
إلى من قاسمني الدرب الشاق ومن قضيتُ معه أياماً لا تنسى، غالب.

نضال النوافعة

شكر وتقدير

إن من مقتضيات الواجب أن يسند الفضل إلى أهله لهذا أجد لزاماً عليّ وتقديراً مني أن أقدم باقةً من الشكر لأستاذي الجليل الدكتور شفيق الرقب مدّ الله في عمره ومتعته بالصحة والعافية لتكريمه بالإشراف على هذا البحث وحسن رعايته ودوام متابعتة فهو لم يبخل عليّ بتوجيهاته وآراءه السديدة ولم يأل جهداً من مدّ يد العون والمساعدة اليّ حتى كان هذا العمل المتواضع فجزاه الله عني الجزاء الأوفى.

نضال النوافعة

فهرس المحتويات

الإهداء

الشكر والتقدير

فهرس المحتويات

ملخص باللغة العربية

ملخص باللغة الإنجليزية

الفصل الأول : مجتمع كما يصوره الشعر

1.1 المقدمة

2.1 التمهيد

3.1 المجتمع كما يصوره الشعر

1.3.1 مجالس الشراب واللهو

2.3.1 مجالس الغناء والرقص

4.1 العادات والتقاليد

1.4.1 الزواج

2.4.1 الأعياد والمناسبات

3.4.1 الرياضات المختلفة

5.1 المجالس الأدبية

الفصل الثاني : المرأة في الشعر الأندلسي

1.2 تمهيد

2.2 الصورة الجمالية للمرأة الأندلسية

3.2 رثاء الزوجات

4.2 المرأة الشاعرة

الفصل الثالث : الشعر والحياة اليومية

1.3 الاخوانيات

2.3 تهنئة ولي الأمر

3.3 التعازي

4.3 النقد الاجتماعي

الفصل الرابع : الدراسة الفنية

1.4 ظواهر أسلوبية

2.4 الموسيقى

3.4 الصورة الشعرية

الخاتمة

الهوامش

المراجع

الملخص

الشعر الاجتماعي في الأندلس في عهد المرابطين والموحدين

نضال النوافعة

جامعة مؤتة ، 2004

لقد تناولت في دراستي (الشعر الاجتماعي في الأندلس في عهد المرابطين والموحدين) ، وكان الهدف منها التعرف على أنماط حياة الشعب الأندلسي الاجتماعية وحياتهم الأدبية في ظل دولتي المرابطين والموحدين ، وبناءً على ذلك قسمت الدراسة إلى مقدمة وأربعة فصول .

تحدثت في المقدمة عن (الحياة الاجتماعية في عهد المرابطين والموحدين) ، والفصل الأول (المجتمع كما يصوره الشعر) وقسمته إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول : الحياة اللاهية ، والقسم الثاني : لعادات والتقاليد ، والقسم الثالث : المجالس الأدبية. الفصل الثاني (المرأة في الشعر الأندلسي) وقسمته إلى ثلاثة أقسام ، القسم الأول : الصورة الجمالية للمرأة الأندلسية ، القسم الثاني : رثاء الزوجات ، والقسم الثالث : المرأة الشاعرة .

الفصل الثالث (الشعر والحياة اليومية) ، وقسمته إلى أربعة أقسام ، القسم الأول : الاخوانيات ، والقسم الثاني : تهنئة ولي الأمر ، والقسم الثالث : التعازي ، والقسم الرابع: النقد الاجتماعي) .

الفصل الرابع (الدراسة الفنية) .

وقد اقتضت الدراسة أن استفيد من المنهج الاجتماعي ، والمنهج التاريخي والمنهج الفني .

ABSTRACT

The social poetry in andalus at the age of “ al- murabeteen
And “ al- muwahedeen”

NEDAL AL-NAWFAH

MU'TAH UNIVERSITY , 2004

In my study I talked about the social poetry in Al-Andalusia during the fighters and believers time , and my aim of this study is having knowledge of the social ways of life of the people of Al-Andalusia , and of their literary life under the fighters and believers' states. Consequently , I divided my study into an introduction and four sections.

In the introduction , I talked about the social life in the fighters and believers' time . The first section (Society in poetry's point of view) is divided into three sections : First section : Enter tainting life . Second Section : Habits and traditions . Third section : literature councils (meetings)

The second section (Woman in the poetry of Al-Andalusia) is divided into three sections First section : the beauty picture of woman in Al-Andalusia . Second section : wife's lament Third section : poetess.

الفصل الأول

المجتمع كما يصوره الشعر

1.1 مقدمة

الأدب مرآة لما يدور في الحياة ، وتعبير صادق عن حياة الأمة في هناءاتها وبؤسها . ولعل عودة إلى كتب الأدب في عصر ما كفيلة بان ترسم في أذهاننا صورة واضحة عن المجتمع في ذلك العصر ، وهذا ما فعله نخبة من الأدباء ، فقد رسموا لنا صورة واضحة المعالم عن مجتمعهم من خلال المادة الأدبية التي بين أيديهم ، وثمة علاقة وثيقة بين الأدب وحركة المجتمع ، وقد عبّر الشعراء الأندلسيون عامة عن كثير من العادات والتقاليد في الأندلس ، وصوروا جوانب شتى من مظاهر السلوك اليومية . لذا وقع اختياري على دراسة الشعر الاجتماعي في الأندلس في عصر المرابطين والموحدين ، لما لهذا الشعر من أهمية في الدراسات الأدبية والاجتماعية والتاريخية في ذلك العصر .

كما أنه في حدود إطلاعي لم أعتز على دراسات سابقة تخص موضوع الشعر الاجتماعي في عصر المرابطين والموحدين ، وإنما هناك دراسة تخص الشعر الاجتماعي في الأندلس وهي : "الشعر في الأندلس من الفتح إلى نهاية عصر الطوائف" محمد المشهداني .

وتتمثل أهمية البحث في دراسة الشعر الذي يتحدث عن مظاهر الحياة الاجتماعية في عصر المرابطين والموحدين ، وهو شعر لم يحظ باهتمام كبير لدى دارسي الأدب الأندلسي ، ولم تتناوله دراسة مستقلة ، وجل ما نجده دراسات عامة تناولت الحياة الاجتماعية بصيغ مختلفة ، ومن ذلك دراسة الدكتور محمد مجيد السعيد ، الشعر في الأندلس في عهد المرابطين والموحدين .

كما أن طبيعة الشعر أو الموضوع تقتضي أن أستفيد من مناهج عدة في هذه الدراسة ، مثل المنهج الاجتماعي في دراسة العادات والتقاليد والسلوك عند أهل الأندلس والمنهج التاريخي في الكشف عن العوامل التي أثرت في الشعر ، والمنهج الفني في دراسة الخصائص الفنية لذلك الشعر .

وكان لابد من خطة يساق بها الشعر ، وخطوط أساسية ترسم للبحث جوانبه فاتخذت لذلك تقيماً مناسباً لطبيعة البحث ، مبتدئاً بمدخل عرضت فيه " الحياة الاجتماعية في عصر المرابطين والموحدين " ، فذكرت طبقات المجتمع ، وبينت أهم مظاهر المجتمع الأندلسي .

ثم جعلت المادة في أربعة فصول ، خصصت الفصل الأول لـ " المجتمع كما يصوره الشعر " وجعلته في ثلاثة أقسام ، تناولت في القسم الأول " الحياة اللاهية " وقسمته إلى قسمين ؟ " مجالس اللهو والشراب " ، و مجالس الغناء والرقص ، تحدثت في القسم لأول عن مجالس اللهو والشراب ، وأماكن عقد مثل هذه المجالس وأهم الأسباب التي تؤدي إلى عقد هذه المجالس ، أما القسم الثاني فهو مجالس الرقص والغناء ، فتحدثت عن أهم هذه المجالس وعن المطربين والجواري التي كانت تضيف جواً خلاباً لها ، أما القسم الثاني " العادات والتقاليد " ، فتحدثت عن أهم عادات وتقاليد الشعب الأندلسي في عهد المرابطين والموحدين " من عاداتهم في الدفن والتشييع ، والألعاب الرياضية ، والاحتفالات ، والزواج ، القسم الثالث خصصه للحديث عن " المجالس الأدبية " فتحدثت عن أهم هذه المجالس وما كان يدور فيها من مناظرات بين الشعراء ، والدور الذي تقوم فيه في خدمة العلم والعلماء أهم الشعراء الذين يترددون على مثل تلك المجالس .

وعقدت الفصل الثاني للحديث عن المرأة في الشعر الأندلسي وقسمته إلى أربعة أقسام ، بدأت بمقدمة عن التحرر الذي تمتعت به المرأة في الأندلس حتى ظهرت عندنا الشاعرات ، والطبيبات ، وكما علا نفوذ المرأة في عهد المرابطين والموحدين .

وخصصت القسم الثاني للحديث عن الصورة الجمالية للمرأة الأندلسية ، فعرضت في هذا القسم صورة المرأة الجمالية من خلال الحياة الاجتماعية ، مثل استخدام الخضاب والقماش الشفاف الذي يسدل على الوجه فيعطي صورة جمالية للمرأة وعن التفنن في لباس الزينة ، والتجمل بمختلف ضروب الجمال .

أمّا القسم الثالث فخصصته لـ " رثاء الزوجات " ، فتحدثت عن رثاء الزوجة الأندلسية ، والفراغ الذي تتركه الزوجة عند رحيلها فتصبح حياة الزوج لا معنى لها، وعن عواطف الزوج اتجاه زوجته بعد رحيلها عنه .

وأمّا القسم الرابع فخصصته للمرأة الشاعرة ، وتحدثت فيه عن أهم الشاعرات اللواتي ظهرن في هذا العصر ، وعن دورهن في خدمة العلم والأدب . وعقدت الفصل الثالث للحديث عن الشعر والحياة اليومية ، وقسمته إلى ثلاثة أقسام ، خصصت القسم الأول للإخوانيات وتهنئة ولي الأمر ، فبينت فيه أن الشعراء غالباً ما كانوا يرفقون هداياهم إلى رؤسائهم أو ذويهم وأصدقائهم بقطعة شعرية ، تحبباً أو تزلزلاً ، موضح أن ظروف العصر ، وطبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة فيه هي التي ساعدت على انتشار هذا اللون .

ومن ثم تحدثت في القسم الثاني عن شعر "التعازي" الذي شاع وانتشر في ذلك العهد وما كان ينم عنه من مشاركة الأهل والأصدقاء أحزانهم ، والتعبير عن عواطفهم الصادقة من خلال هذا النوع من الشعر .

ومن ثم تحدثت في القسم الثالث عن "النقد الاجتماعي" ، وجعلته في قسمين، قسم يتحدث فيه عن نقد الخلفاء والأمراء والوزراء والفقهاء ، وعن دور هؤلاء في فساد المجتمع ، وقسم عن نقد الأشخاص الآخرين ، بما كانوا يتصفون به من بخل وقبح ...

وعقدت الفصل الرابع للحديث عن " الدراسة الفنية " وقسمته إلى ثلاثة أقسام ، القسم الأول جعلته للغة والأساليب من استخدام المحسنات اللفظية ، مبيناً أن الشعراء انحازوا إليه يطرزون قصائدهم بها ، فأكثرُوا منه ، وطرقوا بابه في أغلب جوانب شعرهم الاجتماعي ، متكئين على الموروث الشعري اتكاءً كبيراً في صناعة أشعارهم، من حيث الجمال وإخراجه أحياناً في معرض جديد يتناسب مع بيئتهم وعصرهم ، وتحدثت في القسم الثاني عن الموسيقى الشعرية ، متحدثاً عن أهم البحور الشعرية، كما بحثت بالقافية وذكرت أن الشعراء التزموا في الغالب بقافية واحدة .

وخصصت القسم الثالث لـ "الصورة الشعرية" فتحدثت عن أهم مصادر الصورة التي استمدّها الشعراء ، متحدثاً عن الصورة والحواس ، من خلال إبراز الألوان والحركة من خلال الصورة ، كما تحدثت عن الصورة والأساليب البلاغية ، من حيث الإكثار من إيراد التشبيهات في صورهم الشعرية .

وأخيراً فأنا لا أدعي شمولية البحث ، ولكنني جهدت فيه ما وسعني الجهد ، حتى استقام وفق المخطط الذي رسمته ، بما أسعفتني به المصادر والمراجع ، وكان لمشرفي الكريم دوره الفعال في التوجيه والإرشاد ، فأسهم في بناء هذا العمل المتواضع الذي أرجو أن يكون لبنة متواضعة في صرح الدراسات الأندلسية .

2.1 التمهيد

إن فهم التركيب الاجتماعي في الأندلس ، يفيد في معرفة المجتمع وأنماط تفكيره ، وفهم نتاجه الفكري والحضاري⁽¹⁾ .

اجتمعت في الأندلس أجناس متعددة الأصول والعقائد والاتجاهات ، وقد تركت جميعها أثراً واضحاً في التركيب الاجتماعي للمجتمع الأندلسي، ومن أبرزها العرب⁽²⁾ والبربر⁽³⁾ الذين دخلوا البلاد فاتحين جنباً إلى جنب مع العرب، وهم يشاركون العرب في البداوة والشجاعة⁽⁴⁾ ، والعنصر الثالث ، المولدون ، وقد كان لهم دور فعال وبارز في الأندلس سواء في الأعمال الفكرية أو الثورات التي قاموا بها⁽⁵⁾ . والعنصر الرابع هم الموالي ، وهم موالي بني أمية⁽⁶⁾ . والعنصر الخامس هم المستعربون ، وهم الأسبان الذين بقوا على مسيحيتهم ولم يدخلوا في الإسلام ، وكانوا يرون أنهم أحق بحكم بلادهم ، وأن العرب والبربر دخلاء عليهم ، وكان يشاركونهم في هذه التسمية اليهود والعنصر السادس الصقالبة : يطلق اسم الصقالب أو الصقالبة على من يسمون اليوم بالسلاف ، وهم جنس آري ، ظهرت قوتهم حوالي القرن العاشر الميلادي ، وازدادوا توسعاً في شرق ووسط أوروبا ، أما العرب فقد أطلقوا هذه التسمية على أسرى الحرب من جميع البلاد الأوروبية ، وعلى من وقع في أيدي المسلمين من الرقيق ، وبهذا أدخل الخليفة عبد الرحمن الناصر عنصراً جديداً وهو عنصر الصقالبة⁽⁷⁾ .

وقد عانى اليهود من بعض أشكال الاضطهاد والتعسف في عهد المرابطين ، ولا سيما في عهد يوسف بن تاشفين وكان شديد العداء والتعصب ضدهم، مما دفع بعضهم إلى اعتناق الإسلام أو دفع مبالغ طائلة ثمناً لحريتهم ، كما حدث لليهود اليسانة⁽⁸⁾ ، حيث اضطر بعضهم نتيجة هذه المعاملة إلى ترك البلاد⁽⁹⁾ ، وفرض يوسف بن تاشفين على اليهود فريضة ثقيلة ، اجتمع له فيها (مائة ألف دينار عشرية ونيف على ثلاثة عشر ألف دينار)⁽¹⁰⁾.

وفي عهد الموحدين قام عبد المؤمن بن علي بتخيير اليهود والنصارى بين الإسلام أو الهجرة وإلا فالموت مصيرهم . وفي آخر أيام أبي يوسف بن يعقوب أمر أن يميز اليهود بلباس خاص بهم دون غيرهم بسبب شكه في إسلامهم⁽¹¹⁾.

وأما النصارى فقد كانوا أحسن حالاً من اليهود ، فقد كثر زواج المسلمين بالمسيحيات كما ضمت جيوش المسلمين أعداداً كبيرة منهم فكانت هناك فرقة عسكرية كاملة شاركت في حروب المرابطين ضد الموحدين⁽¹²⁾ ، ثم أننا لم نجد ما يشير إلى التعصب والتعسف ضد النصارى سوى واقعة واحدة ، وهي عندما تأمروا على الاستيلاء على غرناطة سنة (519هـ) مع ابن ردمير .

أما في عصر الموحدين ، فقد كان عبد المؤمن بن علي صارماً في سياسته، وقد مر بنا كيف خيرهم بين الإسلام أو الهجرة وإلا فالموت مصيرهم . ولكن من جاءوا بعده كانوا أقل منه تعصباً وأكثر تسامحاً اتجاه المسيحيين ، حتى أن المأمون سمح لهم بإقامة كنيسة في مراكش عاصمة المملكة يضربون نواقيسهم ويؤدون فيها صلاتهم⁽¹³⁾ .

وانقسم المجتمع في عهد المرابطين إلى قسمين هم الخاصة وتشمل المثلثين والقضاة والفقهاء ، العامة وهم الرعية ، فقد كان المثلثون يحيون حياة في معزل عن طبقات المجتمع ، فأخذوا يأنفون من الخضوع لأحكام القضاة⁽¹⁴⁾، لذلك لم يتوان أمير المسلمين عن ردعهم وأمرهم بطاعة القضاة ، وبذلك عمل على نشر العدل والمساواة بين الناس⁽¹⁵⁾.

وقد تمتع القضاة والفقهاء في ظل المرابطين بسلطان عظيم ، عندما أعطاهم يوسف بن تاشفين سلطة مطلقة ⁽¹⁶⁾، وقد لجأ إليهم أصحاب الحاجات للشفاعة عند ذوي النفوذ في الدولة ⁽¹⁷⁾.

ولم يتغير حال الفقهاء مع انقلاب الأوضاع السياسية والاجتماعية في الأندلس في عهد المرابطين ، بل ترسخت أقدامهم ، وتطاولت إلى أن بلغوا مبلغاً عظيماً في دولة المرابطين ، فاجتمعت لديهم ثروات ضخمة أثارت الحفاظ وأظهرت الضغائن، فذمهم الناس ، وتهكموا عليهم وعلى المرابطين أنفسهم ⁽¹⁸⁾.

وكان نتيجة هذا النفوذ الذي حظي به القضاة والفقهاء في الدولة المرابطية أن حاول ابن حمدين ⁽¹⁹⁾ أن يستقل بملك قرطبة في آخر عهد المرابطين ⁽²⁰⁾.

أمّا بالنسبة للعصر الموحدّي . فقد انقسم الشعب إثر الدعوة الموحّدية إلى قسمين هما : الفئة الحاكمة الموحّدون ، وعامة الشعب الرعيّة ⁽²¹⁾.

وبرز في هذا العصر دور القبائل العربية المتمثلة في عرب بني هلال ، الذين يحتلون منزلة مرموقة بين طبقات المجتمع الموحدّي ، وكان هؤلاء العرب يشكلون قوة فعالة في جيوش الدولة الموحّدية ⁽²²⁾.

وتمتعت هذه القبائل بسلطة قوية في الدولة ، وخير مثال على ما بلغه سلطان هذه القبائل من تسلط في الحكم ، إنه حين قتل ابن أحد صحابة المهدي أخا عبد المؤمن أجبره رجال القبائل الموحّدية على التنازل عن دم أخيه ⁽²³⁾.

وقد بالغ الموحّدون في سياسة استمالة العرب ، أملين أن يخلدوا إلى الهدوء، وأن يكونوا ضمن الجيوش الموحّدية المجاهدة في الأندلس ، فقد أمر للفارس الكامل منهم خمسة وعشرون ديناراً ، وغير الكامل خمسة عشر ديناراً ، والراجل سبعة دنائير ⁽²⁴⁾.

كما أمر الخليفة لكل شيخ خمسين ديناراً ، ولكل رئيس على قبيلته (مائتي دينار) وكساهم جميعاً بالقباطي ، وأعطاهم السيوف المحلاة ، وأمر لهم (بثلاثة آلاف) فرس قسموها على قبائلهم وأتباعهم . ونتيجة هذه الأعمال نجحت سياسة الموحّدين في استمالة القبائل العربية . وكسب الكثير منهم جنوداً في الجيش الموحدّي ⁽²⁵⁾.

وأما لباس أهل الأندلس فكان الطيلسان وهو مصنوع من الديباج ، ويصنع أيضاً من الكتان المزخرف ، ولا يغطي رأسه بالطيلسان إلا الشيوخ المعظمون⁽²⁶⁾ ، كما يلبسون غفائر حمراء وخضراء والصفراء مخصصة لليهود ، والذؤابة تكون مسدولة من تحت الأذن اليسرى ولا يرخيها إلا العلماء⁽²⁷⁾ .

كما أن المرابطين كانوا يضعون اللثام ، وهو لا يفارقهم ، وغفائرهم قرمزية اللون⁽²⁸⁾ ، ولونهم السواد ، ويحملون الأعلام السوداء ، ويرتدون المعاطف السوداء⁽²⁹⁾ .

وكان لون الموحدّين البياض ، ويستعملون إلى جانبه اللون الأخضر عند إعلان الجهاد ضد النصارى⁽³⁰⁾ ، وكان شعار الحداد عند أهل الأندلس هو اللون الأبيض⁽³¹⁾ .

وقد أصيب تيار المجون في العهد المرابطي بصدمة عنيفة أدت إلى انحساره والحد من تدفقه ، وكان هذا الانحسار بسبب سياسة الدولة القائمة على الدعوة الدينية.

واستمر هذا الحد في عهد الموحدّين عندما أمر المنصور بإراقة المسكرات وقطعها والتحذير بعقاب الموت على استعمالها ، فأريق منها في البلاد ما يساوي أموالاً جمّة⁽³²⁾ . كما أمر بمنع لبس الثياب الحريرية الثمينة ، وأخرج ما كان في المخازن من الحرير والديباج المذهب فبيع بأثمان باهظة⁽³³⁾ ، كما أمر الشرطة بالقبض على المغنين ، فهرب من وجد منهم ، وبذلك بارت سوق القيعان وانتشر الزهد⁽³⁴⁾ .

وانتشر اللهو والتترف مرة أخرى بعد وفاة المنصور حتى عم جميع نواحي الحياة⁽³⁵⁾ ، بما فيها من مجالس للخمر الصاخبة ، واجتماعاتهم العابثة البعيدة عن كل التزام ديني أو اجتماعي ، حتى إن بعضهم أعلنوا بصراحة عن إلحادهم بما وصفوا به الإسلام بأنه دين الرعاع⁽³⁶⁾ ، كما إن بعض القضاة كانوا يتهاونون في إقامة الحد على شارب الخمر⁽³⁷⁾ وبذلك عادت حياة اللهو والمتعة إلى الانتشار مرة أخرى وعمّت أرجاء البلاد .

واهتم ملوك المرابطين بالرعيّة ، فأقاموا المساجد العديدة ذات الأبراج العالية وأقاموا الأسوار القوية حول المدن (38) ، والحدائق ذات النوافير البديعة .

أمّا ملوك الموحدّين فقد بنوا المستشفيات ، وقد بنى المنصور بمدينة مراكش بيمارستان وأمر البنائين بإتقانه على أحسن وجه ، وأجرى له ثلاثين ديناراً في اليوم برسم الطعام وما ينفق على خاصته ، وجلب إليه الأدوية ، وأعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم (39) . .. كما أنشأ المدارس ودور الحضانة حتى إن عبد المؤمن أنشأ مدرسة تضم (ثلاثمائة ألف) طالب وكان يدرس أولاده فيها (40) .

وازدهرت حركة البناء في هذا العصر ، فكان بناء مدينة المهدية ، واستطاعوا أن يجلبوا إليها الماء من مكان بعيد ، حتى تتوفر فيها شروط الراحة (41) .

وفي مدينة إشبيلية أقاموا القصور والجسور ، وفيها الجسر العظيم ذو القنطرة عظيمة الهندسة الممسوكة بالمراكز والتي تربط بين المدينة وقرية الشرف المجاور لها (42) .

كما أقاموا شبكة طرق ضمنت المواصلات بين مختلف أجزاء البلاد ، وضمنوا البريد بشكل بديع وسريع في الليل والنهار ، والبحر والبر ، وكانت الدولة تتحرى جداً في اختيار سعاة البريد (الرقاصين) وكانت تمنع عليهم الإساءة إلى سمعة وظيفتهم الذي يعتبر من أشرف الوظائف (43) .

وشهد الشعب الأندلسي في عهد الخلفاء الأول فترة رخاء ، فكثر الأرزاق وأعد من القمح والشعير للمعلوفات . والمواساة للعساكر على وادي سبو بالمعمورة مكدياً كأمثال الجبال ، وبقي من عام (سبعة وخمسين إلى اثنين وستين وخمسمائة) حتى فني في أكداسه (44) .

وقد عفا أمير المؤمنين أبو يعقوب عن المسجونين ، وأمتهم من المخاوف فنشر العدل ونعم الناس بفضله ، فازدادت المخازن وفوراً ، ونمت الأرزاق ، وعمرت الأسواق بالبيع والتجارة الرابعة (45) . كما أمر الخليفة أن يدخل عليه أمناء الأسواق ، وأشياخ الحضر في كل شهر مرتين ، يسألهم عن أسواقهم وأسعارهم

وحكامهم⁽⁴⁶⁾. فكثّر المال في الأيدي من توالي سمحه وبركته ، واشتمل الحب له في جميع القلوب والأنفس⁽⁴⁷⁾.

وكان المنصور كلما دخلت سنة يأمر أن يكتب له الأيتام المنقطعون فيجمعون إلى موضع قريب من قصره ، فيأمر لكل صبي منهم بمئقال وثوب ورغيف⁽⁴⁸⁾ .
وازدهرت الزراعة ، ولاسيما زراعة الفاكهة ، ووجدت أشهر مزارع الفاكهة في ولايتين بلنسية وأشبيلية ، ونمت حول اشبيلية غابات كبيرة من الزيتون ويوجد بالقرب منها (مائة ألف) معصرة زيتون⁽⁴⁹⁾، ويصل إيراد الزيتون إلى (ثلاثين ألف) دينار موحّدية⁽⁵⁰⁾، وكما أنشأت مصانع للسلاح والورق ، وأخرى جلدية في شاطبة⁽⁵¹⁾ .

ونتيجة هذا العدل والرخاء الذي عمّ الشعب ، انتشر الأمن ، حيث يسير الراكب حيث يشاء من البلاد في طرقها ، ومسالكها آمناً في نفسه ، وماله لا يخاف إلا الله أو الذيب . كما أحسن الخليفة لمن وفد إليه واستغاث به من أجناد وأهل الأندلس المأسورين عند النصارى . ففداهم بماله ، واستبان فضله وعدله نوراً من الأنوار ، وأخذ الزكاة من الماشية والحرث على حكم الله وسنة رسوله ، ووضعها في مواضع حقها⁽⁵²⁾ .

ولم تزل أيام أبي يعقوب هذا أعياداً ، وأعراساً ، ومواسم كثرة خصب وانتشار أمنٍ ، ودرور أرزاق ، واتساع معاش⁽⁵³⁾ . . . حتى شبه الطلبة وأهل التواريخ هذه الأيام بأيام عثمان بن عفان رضي الله عنه⁽⁵⁴⁾.

1. 3 المجتمع كما يصوره الشعر

1.3.1 مجالس الشراب واللهو

تقنن شعراء الأندلس القول في مجالس الشراب واللهو وأبدعوا في هذا الأمر فقد وصفوا هذه المجالس وما يدور فيها من فرح وسرور ، ووصفوا السقااة والندماء ، ووصفوا أماكن انعقاد هذه المجالس في الحانات والرياض ، والبساتين ، كما تقننوا في وصف الخمر وأنبيتها وكؤوسها .

وقد كان بعض الشعراء يفضل شرب الخمر وانعقاد هذه المجالس في أحضان الطبيعة الخلابة ، إذا هبّ النسيم ، أوفي أيام الشتاء والتلوج وسحر الاخضرار ، وسنا الفجر ، فكان هذا كله من منشطات الشرب واللهو وعقد مجالسها .

وهذا ابن سارة الشنتريني ، يقول مخاطباً أهل غرناطة القاطنين عند جبل شلير⁽⁵⁵⁾ المكسو بالتلوج وكأنه درة بيضاء ، محلاً لهم شرب الخمر ، وتخفيف ما هم فيه من زمهرير ويتمنى الشاعر من الله عز وجل إذا كان مدخله في جهنم أن يدخله في مثل هذا اليوم ؛ لما له من متعة وجمال في نفس الشاعر ؛ إذ يقول⁽⁵⁶⁾ :

يحلُّ لنا تركُّ الصلاة بأرضكم	وشربُ الحميِّ وهو شيءٌ محرمٌ
فراراً إلى أرض الجحيم فإنها	أحنُّ علينا من شليرٍ وأرحمُ
فإن كنتَ ربيّ مُدخلي في جهنم	ففي مثلِ هذا اليوم طابتُ جهنمُ

والشاعر ابن شهاب بن المالقي يعتبر الخمر مثل روحه ، فإذا غابت عنه غابت روحه عن جسده ، إذ يقول⁽⁵⁷⁾ :

الراحُ روحي ، فلا والله أتركها	مادامَ جسمي مشتاقاً إلى روح
--------------------------------	-----------------------------

وامتزج حب الرياض والحدائق ، بحب الشراب ومجالسه عند الشاعر الأندلسي وراح يرتاد هذه الأماكن التي كانت محفراً كبيراً على عقد مجالس الشراب واللهو ، بما فيها من طبيعة خلابة ، وخصوصاً وقت تفتح الأزهار ، وتورق الأشجار ، وفي هذا يقول ابن بقي⁽⁵⁸⁾ :

عجبت لمن أبقي على خمر دنّه	غداة رأى لوزاً لحديقة نورا
----------------------------	----------------------------

ويزداد التداخل بين الطبيعة ومجالس الشراب واللهو حتّى تغدو مكملّة وملازمة لها في استكمال دواعي السرور مشبّه الطبيعة بالجنة والغدران بالإنسان الذي يضحك من شدة مسرته وسعادته ، فالمجلس عقد في الطبيعة الجميلة وما تمثله هذه الطبيعة من شدة الطيور وصوت المياه والرعد وتفتح أكمام الزهور ، كل هذا يضيف جواً خلابةً على هذا المجلس ، وهذا ما يشير إليه الشاعر ابن إسحق إبراهيم بن عبيد الله⁽⁵⁹⁾ :

بادر إلى شادٍ وكأسٍ تدورُ	ومجلسٍ قد زينته ——— دور
في جنة تضحك غدرانها	وترقص القضب وتشدو الطيور

لما غدا الرعد بها مطرباً شق له الزهر جيوب السرور
ويظهر التداخل بشكل كبير بين الطبيعة ومجالس الشرب واللهو، فهذا أبو
الحسن علي ابن موسى بن سعيد ، يصف مجلساً على ضفة نهر قد عقده مع صحبه ؛
فيقول (60) :

على نهرٍ شَنِيلٍ وللقُضْبُ حولنا	مَنَابِرُ ما زالت بها الطيرُ تَخْطُبُ
وقد قرُعتْ منه سَبَائِكُ فضّة	خلالَ رياضٍ بالأصيلِ تَذْهَبُ
شربنا عليها قَهْوَةٌ ذهبية	غَدَتْ تَشْرَبُ الألبابُ أيّانَ تُشْرَبُ
كأنَّ ياسميناً وسطَ وردٍ تفتّحتْ	أزاهرُهُ أيّانَ في الكأسِ تُسْكَبُ
نعمنّا بها واليومُ قد رقَّ برُدُهُ	إلى أن رأينا الشمسَ عنا تُعْرَبُ

لقد أطلق الشاعر الأندلسي لنفسه العنان فتدفق شعره في سلاسة استمدها من
واقع الطبيعة الخلابة التي كان يعيش فيها ، وحياة اللهو ومجالس الشراب التي كانت
منتشرة فوصف هذه المجالس بما يدور فيها ، مع وصف للطبيعة الأندلسية، وتداخل
هذه الطبيعة في مجالس الشرب واللهو والغناء ، وفي ذلك يقول ابن خفاجة (61):

سكّرى ، يُغْنِيها الحَمَامُ ، فتتثنّى	طَرِباً ، ويسقيها الغمامُ ، فتشربُ
يلهوُ ، فترفعُ ، للشَّيْبَةِ ، رايّة	فيه ، ويطلُعُ للبهاره كوكب (62)
والرّوض وجهُ أزهرٍ ، والظل فرغُ	أسود ، والماء ثغرُ أشنب (63)
في حيثُ أطربنا الحَمَامُ عشيّة	فيشدا يغنينا الحَمَامُ المطربُ
في فتيةٍ ، تسري ، فينصدعُ (64) الدّجى	عنها ، وتنزلُ بالجديبِ ، فيخصبُ

ويصف لنا ابن خفاجة ، مجلس أنس ، بما فيه من شراب ولهو ، وقد عقد

هذا المجلس في الليل ، فيقول :

ونديّ أنسٍ هزّني	هزّ الشَّرَّاب من الشَّبَاب (65)
والليلَ وضاحُ الجبين	قصيرُ أذيالِ النَّيَّاب (66)
والنورُ مبتسمُ ، وخدُّ	الورد محطوطُ النَّقَاب (67)
فكأن كَأْس سُلَافَةٍ	ضحكت ، إليهم ، عن حباب (68)

وفي هذه الطبيعة الجميلة ، وبما تدخله في نفوس الناس من الفرح والسرور
والبعد عن كل ما يكدر البال ، تكون الدعوة إلى حضور مثل هذه المجالس ويصف

لنا أبو جعفر بن سعيد دعوة لحضور أحد هذه المجالس والتي تضم جميع أنواع المتعة والسرور من شدو ورقص ، وتبادل الكلام الفكه ، وتعانق وتغامز ، كل هذا يعطي المجلس جواً خاصاً من الفرح والسرور ، كما يشبه الشاعر الحاضرين في هذا المجلس بالأنجم وهو بالبدر الزاهر ؛ إذ يقول (69) :

يا خيرَ من يُدعى لكأس داني	ووجوه أقمارٍ وروضٍ ناضرٍ
إنّا حضرنا في النديّ عصابةً	معشوقة من ناظمٍ أو ناثرٍ
شدو ورقصٍ واقتطاف فكاهاة	وتعانق وتغامز بنواظرٍ
وهم كما تدري بأفقي أنجم	لكن لنا شوق لبدر زاهرٍ

وفي ظلال الغابات الخضراء والحدائق الجميلة بما فيها من ورود وجداول المياه ، تتوفر فيها وسائل الطرب والأنس والشراب والانغماس في المتعة ، فهو يألفها ألف العتيق لكتابه ، ولا يشتهي سوى هذا الكأس شراباً له يوم الحشر ، وقد قال (إبراهيم بن سهل الإسرائيلي) يرد على دعوة لحضور مجلس فقال: (70)

ولا من ينادي نحو نهرٍ ودوحة	ووجه أخى حسن يقابل بالبدر
أعد دعوة اللّقا على مسمعي الذي	يلذ بما أودعته دائم الدهر
ولا تنس ذكر الكأس فهو كما لها	وحسن لها الإغفال من حلبة الذكر
سألفها إلف العتيق كتابه	ولا أشتهي ورداً سواها لدى الحشر

وقد حضر أبو جعفر بن سعيد مع إخوانه إلى موضع يعرف بالسلطانية على نهرٍ إشبيلية قد عقد فيه مجلس للشراب واللهو . استمر حتى الصباح ؛ فيقول: (71)

رقّ الأصيل فواصل الأقداحا واشرب إلى وقت الصباح صباحا
وقد أستدعى ابن ابن السيّد البطليوسي أبا الحسن ، لحضور مجلس قد لاحت شمس قداحه ، وارتاحت نفوس ندامه ، وتأود الغصون قدود خدامه ، وكأنما لمعان كؤوسه وهي في يد الساقى تحت الضوء نجوماً تلمع ؛ إذ يقول (72) :

عندي مشكود الخمر عبّق
فيه منى مُصطبِح ومفتبّق
كأنما كنّوسه تحت الغسق
فيه راحة الساقى نجومٌ تأتلق

وقد شغف الشعراء بالخمير وتعلقوا بها لدرجة أنهم اعتبروها قد ملكتهم الناس
فأصبحوا عبيداً لهم ، وأنهم إذا فقدوها قد فقدوا أنفسهم يقول أبو جعفر بن سعيد: (73)

الخميرُ ملكتني	فالخلقُ لي عبيدُ
يحنُّ لي إذا ما	أبصرتها تجودُ
منها أنا إذا ما	فقدتها فقيدُ

وهذا الشاعر علي بن خروف يصل إلى درجة العشق في تعلقه بالخمير ، فهو
عاشقها الذي لا يستطيع الانفصال ، أو ينسى عشيقته ، فيقول:

لا ترجون لمثلي	من هذه الراح توبة
فإنما هي ليلي	وإنما أنا توبه (74)

وقد وصل بعض الشعراء إلى المجاهرة بالشرب واللهو ، ووصلوا إلى أعلا
مراتب الزندقة عندما وصفوا الإسلام بدين الرعاع ، واستهتروا بشهر رمضان
المبارك يقول أبو جعفر (75) في هذا :

يقول أخو الفضول وقد رآنا	على الإيمان يغلبنا المجونُ
أنتنّهكون شهر الصوم هـلاً	حماء منكم عقلٌ ودينُ
ندينُ بكل دينٍ غير دين الر	عاع فـما به أبداً ندين
بحي على الصبوح الدهر ندعو	وإليس يقول لنا أمينُ
فيا شهر الصيام إليك عنا	إليك ففـيك أكفر ما نكون (76)

ويزداد الاستهتار بشهر الصيام . فهذا الأعمى التطيلي ينتظر انقضاء شهر
رمضان من أجل القيام بالأفعال الذميمة ، وهي شرب الخمر ، فيقول: (77)

قد تولى شهرُ الصيام حميداً	فاخلفيه فيا بفعل ذميم
صَبَى حُرْمَةً له كرمت ما	كان عهدي في حفظها بكريم
من ينادم على الحديث فقد	أختلس الكأس من حديث القديم

وقد كتب أبو بكر محمد بن العوام الإشبيلي إلى صديق له عندما رأى هلال
العيد فبادر إلى كأس الشراب ، وقد تورع صديقه عن تلك الليلة خفية اللوم ، فقال:

إذا لاح الهلال فقم إليه	بإهلالٍ لتوديع الصيام
ولا تسمع بقدر اللحظ إلا	تلاقي وفد أكواس المدام

وقل إن قيل : حيّ على حلالٍ صباح الفطر حيّ على الحرام (78)
وتداخلت عناصر كثيرة مع الطبيعة في وصف لوحات الشعراء الخمرية
ومجالس شربهم ولهوهم . ومن هذه العناصر أصوات الدواليب ، كما في قول
المالقي (79) :

أهوى محادثة الندمان في السّحر ونغمة الطائر المصّقي إلى الوتر
وقول ساقى الندامى حان شربكم على بقايا شعاع البدر في النّهر
وقد غدت رنة الدّولاب موقظةً إلى الصّبح عيوناً دنّ بالسّهر
ولعل من أهم الأسباب التي تدعو لشرب الخمر وعقد مجالسها ، أسباب ذاتية
مثل تداخل الهموم ، فيهرب الإنسان إلى الخمر ومجالسها معتقداً أنها ملاذ و منجا له
من هذه الهموم ، هذا ما يشير إليه ابن ابن السيّد البطلوسي في أبياته (80) :

سلّ الهموم إذا بنا زمنٌ بعدامة صفراء كالذهب
مزجت فمن درّ على ذهبٍ طاف ومن حباب على لهب
وأخذ بعض الشعراء يدعون للشرب المدمن الذي لا يعرف الصحو ، والتمتع
في ملذات الحياة بنهم ظمان لا يرتوي ، وهذا كما في قول ابن صناديد (81) :

ثم إن شئت حياةً ترتضي لا تصح سكرا
واقطع الدنيا يقينا وذر اللذات تترى
لا تكن أعدى عدوّ قائلاً نفسك صبّرا
ووصف ابن زهر الإشبيلي مجموعة من السكارى بعد إن انتهوا من شربهم ،
فغلب عليهم النعاس ، وقد اتخذوا من أكفهم وسائد لهم: (82)

ومسّدين على الأكف خدودهم قد غالهم نوم الصباح وغالني
مازلت أسقيهم وأشرب فضلهم حتّى سكّرت ونالهم ما نالني
وعلى الرغم من غرام الشاربين بالطبيعة ، وعقد مجالسهم بين أحضانها ،
فأنهم عقدوا مجالسهم في الأديرة والبيوت ، ويقدم لهم الشراب وأنواع الطعام ،
وسقاة تدير الكؤوس بينهم . ويقول ابن خفاجة: (83)

بدارٍ سقتها ديمةً إثر ديمةٍ فمالت بها الجدران سطرّاً على سطرٍ
فمن عارضٍ يسقي ، ومن سقفٍ مجلسٍ يغني ، ومن بيتٍ يميل من السكر

إذا ما وهى ركن فأهوى ، فإنني لأشجى من الخنساء تبكي على صخر
 وظهرت مهنة ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بمجالس الشراب واللهو ، وعدت شرطاً
 أساسياً من شروط انعقادها ، وركناً من أركانه الأساسية ، مهنة تقديم الخمر ،
 ولاشك أن مهنة السقاة تتطلب شروطاً يجب أن تتوفر في الساقى مثل الخفة
 والوسامة ، والسرعة في تلبية حاجات الحاضرين ورغباتهم ، وقد وصف ابن خفاجة
 وسامة أحد السقاة ووصفه بأنه مثل الغصن المتمائل من شدة السكر ، وقد احمرت
 الكأس في يده حتى غدت مثل الوردة الحمراء ، كما يصف خده بالحمرة من شدة
 السكر ؛ فقال (84) :

وأهيف قام يسقي	والسكر يعطف قـده
وقد ترفع غصناً	واحمرت الكأس ورده
وألهب السكر خدّاً	أورى به الوجد زنده
فكاد يشرب نفسي	وكدت أشرب خـده

وقد وصف ابن السيّد البطليوسي السقاة أيضاً فقال :

بيدي ساقٍ ترى في طوقه	بدر ريمٍ قد تجلّ في غسق
خلتها إذ غربت في ثغره	شمسها أبقت (85) بخديه شفق (86)

وقد وصف ابن السيّد البطليوسي مجلس انس وطرب دعي إليه بما فيه من
 قرع السرور وكؤوسه وأباريقه ، وقد ضمت عليه المجالس أزارارها ، ووصف
 السقاة وهم يديرونها بين الحاضرين (87) :

يسعى بها أهوى الجفون كأنها	من خده ورضاب فيه الأشنب
بدران : بدر قد أمنت غروبه	يسعى ببدر جانح للمغرب
فإذا نعمت برشف بدر غارب	فانعم برشفة طالع لم تغرب
حتى ترى زهر النجوم كأنها	حول المجرة ررب في مشرب

أما الساقى عند ابن مسعود الجياني ، فهو وسيم متورد الوجنات ، يسكر
 بالحاظه الندماء ويصبو إلى حسنه الجالسين ، ولا يتأخر عنهم في شيء ؛ إذ
 يقول (88) :

يديرها شادن رخيـم	يصبو إلى حسنه الجميع
-------------------	----------------------

إذا أتى بالصدود ذنباً —————
فالحسن في وجهه شفيح

ومن مهام الساقى بالإضافة إلى تقديم الشراب ، بث البهجة والسرور في
المجلس بما يجب أن يكون عليه من مظهره ، ومشيته أو طريقة تقديم الشراب ،
وهو لا يمنع ندماءه أن ينالوا ما يشتهون من العناق . وقد قال ابن سعيد⁽⁸⁹⁾ :

ساقِيهِمْ مَبْذُلٌ	لا يمنع الماء القراح
كلُّ يَمْدٍ يَمِينُهُ	ما في الذي يأتي جناح
هَبُّوا عَلَيْهِ كَلِّمًا	هَبَّتْ عَلَى الرَوْضِ الرِّيحُ
طَوَّعَ الْأَمَانِي كُلَّ مَا	يَأْتِي بِهِ فَهُوَ امْتِزَاجُ
عَانَقَتْهُ حَتَّى تَرَكَ	تُ بَخْصَرِهِ أَثَرُ الْوَشَاحِ

وها هو ذا ابن سهل الأندلسي يصف لنا أحد السقاة من خلال التغزل بزيه الجميل
الساحر ، ومقلتيه اللتين تسكران الجالسين ؛ فيقول: ⁽⁹⁰⁾

واقحوان الزَّيْ بَدَا سِحْرًا	واقحوان النجوم قد ذبلاً
يسقيك من كأسه وناظره	دراً بكاس صبايةٍ وطلاً
تَخْتَدِعُ السُّكْرَ مَقْلَتَاهُ فَإِنْ	نَبَتَ بِهِ الْكَأْسُ كَانَ مُسْتَحْلًا

وترتبط مجالس اللهو والشراب بالطبيعة ووصف سقاتها ، فقد وصف لنا ابن
الزقاق ، أحد السقاة في مجلس قد عقد في الطبيعة بما فيها من أزهار وورود وأن
هذا الساقى بقى يدير الكؤوس حتى طلع الصباح فقال⁽⁹¹⁾ :

وأغنّ طاف بالكؤوس ضحى	فحثّها والصباحُ قد وضحا
والروض يبدي لنا شقائقه	وأسه الصنبريُّ قد نفحا
فضلّ ساقى المدام يجحدها	قال فلمّا تبسّم افتضحّا
قلنا وأين الأفاح ؟ قال لنا:	أودعته ثغر من سقى القدحا

ويعود ابن الزقاق مرة أخرى واصفاً أحد سقاة المدام ، ويصف الكأس في
كفه بهالة في الأفق ، ويصف ما عليه هذا الساقى من الجمال فقال⁽⁹²⁾ :

وقام بالقهوة الصهباء ذو هيفٍ	يكاد معطفه ينقذُ بالنظر
يطغو عليها إذا ما شجها دورٌ	تخالها أختلس من ثغره الخصر
فالكأس في كفه بالراح مترعةٌ	كهالةٌ أهدقت في الأفق بالقمر

عني شعراء الأندلس بوصف أنية الشراب ، فذكروا أنواعها ، وأشكالها ،
وألوانها ومن هذه الأنواع التي ذكرت الكأس ، والإبريق ، وقد ورد ذكر الكأس عند
ابن سهل الأندلسي ، فقال (93) :

سل الكأس تزهو بين صبحٍ وإشراق أذوب فيها الورد أم وجنة الساق
كؤوس تحيّيها النفوس كأنها حديث تلاقٍ في مسامع عشاق
وقد حظيت الكأس عند الشعراء بنصيب وافر من التشبيه ، فهي بجمالها
ولمعانها ، كالكوكب في الليل ، نراه في شعر أبي الحسن علي بن محمد فقال (94) :
وقال ألا تدرون ما في كؤوسكم فلا كأس إلا و هو في الليل كوكب
ووصف خالد المالقي الكأس وهي في يد شاربها ضاحكة بالمرأة البكر التي
تمرح بين الأنس والخضر ضاحكة مسرورة ؛ فقال (95) :

والكأس ضاحكة في كف شاربها كالبكر تمرح بين الإنس والخضر
وورد في شعر الأندلسيين وصف للإبريق ، والطاسات ، وأشكالها ، وألوانها
فرسم أبو الربيع بن سالم صورة جميلة لتلك الأواني المستعملة في مجالس الشراب ،
فقد شبه الإبريق عاشقاً والكأس حبيباً له يغزله ، بصورة جميلة تبعث البهجة
والسرور في النفوس فقال (96) :

كأنما إبريقنا عاشقٌ كل عن الخطو فما أعمله
غازل من كأسٍ حبيباً له فكلما قبله أخجله

إنّ ما ذكره الشعر الأندلسي من وصف لأنية الشراب ، يدل على ما وصل
إليه الأندلسيون من براعة وجودة في صناعة أنواع عديدة من الأواني ، حفظ لنا
الشعر وصفاً لأشكالها وألوانها وأنواعها ، وهذه كانت لها صلة بمجالس الشراب بما
تبعته من بهجة وسعادة .

2.3.1 مجالس الغناء والرقص

كثرت مجالس الغناء ، وتعددت أنواعها وألوانها في الأندلس ، ترنمت فيها
الجواري ، والمغنيات على وقع الآلات الموسيقية وأنغامها ، وانطلقت أصوات
المغنين الذين برعوا في ميدان الغناء والموسيقى . وترتبط كلمة مغني في المعنى

بكلمة موسيقي كما سميت الموسيقى بالطرب ، وقد كان المسلمون المتشددون يسمونها " اللهو " لذلك سميت الآلات الموسيقية باسم "الملاهي" (97) .

ومن مجالس الغناء في الأندلس ، المجلس الذي أشاد فيه الوزير الشاعر محمد بن مالك في عهد المرابطين ، بروح الفنان الأندلسي المنفعل بالأنس والطرب، كما يشير إلى عادة شق الجيوب وانها ليست حق عليهم ، انما الحق أن تشق القلوب من شدة الطرب؛ إذ يقول (98) :

لا تلمني بأن طربت بشجو يبعثُ الأنس فالكريم طروب
ليس شقُّ الجيوب حقاً علينا إنّما الحقُّ أن تشقُّ القلوب

وقد عرفت مدينة إشبيلية من بين مدن الأندلس باحتواء مجالس الغناء والرقص ، والمطربين ، وهذا واضح من المناظرة التي عقدت في مجلس منصور بن عبد المؤمن بين الفقيه العالم أبي الوليد بن رشد والرئيس أبي بكر ابن زهر ، فقال : ابن رشد من جملة حديثه ... " ما أدري ما تقول غير أنه إذا مات عالم بإشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة .. وإذا مات مطرب بقرطبة فأريد بيع تركته حملت إلى إشبيلية " (99).

وقد سار أمراء المرابطين على درب أمراء الطوائف في الأندلس في العناية بمجالس الغناء ، " فقد كان الأمير أبو بكر بن يوسف بن تاشفين والي سرقسطة في عصر علي بن يوسف ، وقد اتخذ الفيلسوف ابن باجة كاتباً له ، فيروى أن ابن باجة حضر مجلساً من مجالس الغناء والطرب لمخدومه ابن تيفلويت ، وألقى موشحته التي أولها :

جرّ الذّيل أيّها جرّ وصلِ الشكر منك بالشكر

فطرب الأمير لذلك ، فلما ختمها بقوله :

عقد الله راية النصر لأمير العُلا أبي بكر

فلما طرق ذلك التلحين سمع الأمير صاح واطرباه ... وشق ثيابه وقال : ما أحسن ما بدأت وما ختمت وحلف بالأيمان المغلظة لا يمشى ابن باجة إلى داره إلا على الذهب فخاف الحكيم سوء العاقبة ، فاحتال بأن جعل ذهباً في نعله ومشى عليه (100).

كما وصف الشعر الأندلسي المغنين والمغنيات الذين أحيوا هذه الحفلات ،
وبعثوا الفرح والسرور في مجالسها ، فوصف الشعراء جمال أصواتهم ، وبراعتهم
في الغناء ، وقال ابن خفاجة يصف أحد المغنين ، حسن الصوت وقد ملكه السكر
فأخذ يلوي عطفه كأنه غصنٌ تعانقه الرياح ، وهو حسن الصوت والمظهر ،
فالشاعر متردد هل يستمع إلى صوته أم يتمتع بالنظر إليه ؛ إذ يقول (101) :

ومغرّد هزج الغناء مُطربٌ	تلقى به ليل التّمّام فيعصرُ
سفر الشّباب به لنا عن غُرّة	ترمي بها ليل السّراد فيعمد
وكأنه والسكر يلوي عطفه	غصنٌ تعانقه الرّياح منورُ
ملاً المسامع والعيون محاسناً	فلم ادرِ هل أصفى إليه أم انظر

وكان حسن الغناء ، وروعة الأداء ، وجمال المظهر لإحدى المغنيات عند
ابن خفاجة ، مما ملك عليه قلبه ، فانطلق يصف لنا حسن صوتها ومظهرها ، فهي
فتاة جميلة متوردة الخدود ، تترنم في غناءها كأنها حمامة تترنم على الأشجار ،
وهي بين النجوم قلادة وخلف الصباح نقاب ؛ إذ يقول (102) .

فتق الشّباب بوجنتيها وردةً	في فريح إسحلة تعيد شبابا
وضحت سوائف جيدها سوسانة	وتورّدت أطرافها عنّابا
وترنمت حتّى سمعت حمامةً	حتّى إذا حسدت زجرتُ غرابا
بين النّجوم قلادةً تحت الظّلا	م عمامةً خلف الصّباح نقابا

وكان للجواري المغنيات دور بالغ الأهمية في مجالس الغناء ، فقد أتى
الشعراء الأندلسيون على ذكرهنّ ، وأنشدوا الأشعار في جمالهنّ ومحاسنهنّ ، ورقة
أصواتهنّ ، قال ابن خفاجة (103) :

وفتاة حُسن كلّها أعجاز	غنّت غناءً كلّهُ إعجازُ
لذّت أغانيها وخفّت موقعاً	فكأنما تطويلها إيجاز

وارتبط فنّ الرّقص على أنغام الموسيقى بمجالس الغناء والطرب في الأندلس
ومن الصعب أن نتعرف إلى جماعة تحترف الرّقص دون مصاحبة الغناء
والموسيقى ويعتبر الرّقص من مكملات مجالس الغناء في الأندلس ، فهو ينطلق

بالمشاعر في آفاق رحبة ، تعبر عن رغبة النفس البشرية ، وتؤكد على حب أهل الأندلس للغناء والرقص .

ووصف الشعر الأندلسي نوعاً من الرقص ، دل على براعة متناهية وأداء جميل يقوم فيه راقص بارع ، يؤدي رقصته بتحريك أكمامه في اهتزازات متتابعة لطيفة ، ثم يلتقط الزجاج بذيل ملابسه خلال انسيابه في رقة وهذه الحركات تبعث الدهشة في الحضور ، وتنال الإعجاب ، قال الشاعر يحيى بن بقي (104) :

نادمته سحراً فأقنع مسمعي	بترنم كترنم الورقـاء
وكانما أكمامه في رقصته	تتعلم الخفقان من أحشائي
ويمرُّ يلتقط الزجاج بذيله	مرّاً النسيم على حباب الماء

وإذا كان الشعراء قد صوروا حركات الراقصين ، وبراعتهم ، وإعجابهم بأنفسهم والحضور فيهم ، فإن الشاعر أبا بكر محمد بن قزمان (ت 554هـ) كان هو نفسه راقصاً بارعاً ، وقد أذهل المشاهدين في مجلس رقص بحركاته البارعة بتحريك أكمامه بسرعة خاطفة ، تدل على براعته متناهية في الرقص وقد غلبت عليه الراح ؛ إذ يقول (105) :

يأهل ذا المجلس السامي سرارته	ما ملت لكنني مالت بي الراح
فإن أكن مطفناً مصباح بيتكم	فكل من قد هواه البيت مصباح

ويصور لنا الشعر براعة الرقص في الأندلس ، وتنوع حركاته ، والتفنن به فهذا الشاعر أبو علي حسن بن الأنصاري ت (604هـ) يصف لنا راقصة ماهرة هي نزهة وتعرف بتخط الشوق من حيث رشاقته في الرقص وتشبيهها إذا استقامت بالألف ، وفي النون إذا انتثنت تقوساً وانحناء (106) :

" تخط " يخط الشوق في القلب شخصها	ففي كل ما تأتيه حسنٌ وتحسينُ
وليت تطيق " الشين " في حال نطقها	فمن أجل بُعد الشين باعدها الشين
إذا رقصت أبصرت كل بديعة	ترى أنفاً حبنا وحباً هي النون
فيا نزهة الأبصار سميت نزهة	لكي يوضح المعنى بيانٌ وتبين

قال الدكتور عبد الرحمن الحجي : " ورقصهم الحالي هو بعينه الرقص العربي بما⁽¹⁰⁷⁾ فيه من خفة الراقصات ، ورشاقتهن ، والتفنن في الحركات جنّية وذهوباً .

وقد أدى ازدهار فنّ الموسيقى والغناء في الأندلس إلى تعدد الآلات الموسيقية التي تستخدم في العزف ، وقد ذكر ذلك الشقندي في رسالته ما نصّه ((وقد سمعت ما في هذا البلد من أصناف وأدوات الطرب كالخيال⁽¹⁰⁸⁾ ، والكريج⁽¹⁰⁹⁾ ، والعود والروطة⁽¹¹⁰⁾ والرباب⁽¹¹¹⁾ ، والقانون⁽¹¹²⁾ ، والمؤنس ، والكثيرة ، والغناء ، والزلامي⁽¹¹³⁾ ، والشقرة والنورة ، وهما مزماران الواحد غليظ الصوت ، والآخر رقيقة ، والبوق⁽¹¹⁴⁾))⁽¹¹⁵⁾ .

لقد وجدت براعة الضاريين بالآلات الموسيقية ومحاسن العازفين في مجالس الغناء طريقها إلى الشعر الأندلسي ، وأدت هذه الألحان إلى أثر محبب في نفوس الشعراء ، وفي الشعر الذي تحدث عن مجالس الغناء بالوصف .

ومن أشهر الموسيقيين الذين ضمتهم مجالس الغناء وحفلات الأعراس ، ابن باجة إذا شهد خصمه الفتح بن خاقان بأنه أقام سوق الموسيقى ، ويقول عنه ابن سعيد أيضاً : هو في المغرب بمنزلة أبي نصر الفارابي بالمشرق⁽¹¹⁶⁾ .

وعرف منهم أيضاً إسحاق بن سماعيل ، وكان يهودياً من قرطبة وصديقاً لابن باجة اشتهر بتأليف الألحان من كل الأساليب⁽¹¹⁷⁾ .

واشتهر زامر آخر في عصر الموحّدين اسمه حسن ، وقد أطرّب السّمار في مجلس ابن سعيد وشيعته⁽¹¹⁸⁾ .

ووصف الشاعر الأندلسي ، الآلات الموسيقية ، وصف معجب بها . فهذا الشاعر محمد ابن سعد بن شرف الجذامي ت (560 هـ) يتحدث عن عود مقارناً بين حالتين حالته حين كان فرعاً أخضر تتغنّى عليه الطيور ، وحالته بين يدي الغانيات ، وفي كلتا الحالتين كان مبعث فرح وسرور⁽¹¹⁹⁾ .

سقى الله أرضاً أنبتت عودك الذي	زكت منه أعراق وطابت مفارس
تغنّى عليه الطير والعود أخضر	وغنّت عليه الغيد والعود يابس

وقال أيضاً⁽¹²⁰⁾:

جفا ثراها ولا أغصانها الماء
بعد الحمام زماناً وهي خضراء

يا عود من أيّة الأشجار أنت فلا
غنى القيان عليها وهي يابسة

4.1 العادات والتقاليد

1.4.1 الزواج في الأندلس

كان من عادات الزواج وتقاليده في الأندلس الحق للمرأة في القبول والرفض للرجل الذي يتقدم لخطبتها ، ونجد هذه العادة أو التقليد واضحة عند نزهون القلاعي الشاعرة ، فقد أكدت حقها في رفض رجل مشوه تقدم إليها ، ويذكر أن حبه لها قاده إلى خطبتها ، وكانت سريعة البديهة ، فقالت في ذلك (121) :

عذيري من عاشق أنوك	سفيه الإشارة والمنزع
يروم الوصال بما لو أني	يروم به الصق لم يُصغع
برأس فقيس إلى كيّه	ووجه فقير إلى برقع

على حين كانت هناك شاعرة من اليهود يقال لها قسمونة بنت إسماعيل اليهودي ، وكان أبوها شاعراً ، وقد نظرت في يوم في المرأة ، فرأت جمالها ، وقد بلغت أوان التزوج ، ولم تتزوج فقالت :

أرى روضة قد حان منها قطافها ولست أرى جان يمدُّ لها يدا
فوا أسفا يمضي الشباب مضياً ويبقى الذي ما إن اسميه مقردا
ويروى أن أباها سمعها وهي تنشد هذه الأبيات ، فنظر في تزويجها (122) .

ووجدت الفكرة الإسلامية القائلة بضرورة تخير الكرام من النساء لولادة النجباء من الأبناء ، كانت هي سائدة في المجتمع الأندلسي ، ونراها عند الشاعر أحمد السياني المري (123) :

من يزوّج كريمة الهمة العليا	علوا فقد أجاد الخيارا
ستريه عند الولادة بنيتها العلم	والحلم والأناة كبارا

وعلى الرغم من أمر الاختيار والخطبة ، فقد كانت عادات الزواج في الأندلس تشبه ما في باقي البلاد الإسلامية ، إذ كانت تبدأ بمناقشة المهر ، وبعدها

يتفق على تحديد موعد الزفاف ، ومن ثم تبدأ الحفلات المبهجة والأفراح التي تدوم أسبوعاً كاملاً (124).

ومن عادات الزواج عند الأثرياء ، كانت تبذل النفقات الطائلة ، ويدعى إليها الجم الغفير من عليّة القدم ، فحينما خرجت العروس فاطمة من إشبيلية مزفوفة إلى أمير المرابطين علي بن يوسف ، لم يعهد الناس مثل ذلك اليوم لهواً ونعماً (125).

ومن عادات الأندلسيين المغلاة في إعداد بناتهم للزواج ، وهذا واضح عند ابن سارة (517هـ) الذي افتقد ابنة له بالموت بعد أن بلغت سن التزويج ، فتظاهر بالارتياح في سخرية وتهكم لأنه تخلص من هموم إعداد الفتاة للعروس (126) :

ألا يا مَوْتَ كُنْتَ بنا رؤوفاً فجَدَّدْتَ الحياةَ لنا بِزَوْرِهِ
حماد لفعلك المأثور لَمَّا كَفَيْتَ مَوْؤُنَةً وسترت عوره
فَأَنكَحْنَا الضَّرِيحَ بغيرِ مَهْرٍ وجهزنا الفتاة بغيرِ شَوْرِهِ

وعلى الرغم من المبالغة في إعداد بناتهم للزواج ، كانت من عاداتهم وتقاليدهم أيضاً المبالغة في المهور العالية ، فهذا الشاعر أبو القاسم السهيلي (580 هـ) يتقدم لمواطنيه بالنصح في أن يتجنبوا المغلاة في المهور ، حتى لا يؤدي إلى بوار الفتيات :

المَهْرَ مَهْرَ العُرسِ لا تغله فإنه مهما غـلا مَهْرَـهُ
من دَمَه صان يحرزِ النَّقَى لم يخش من كوم ولا مندمه
أب لمتى إلى الرِّضا واقتسم مالي معي إن شئت كالأبله (127)

وكان من تقاليد العرس ارتداء العروس أفخر الملابس ، ويبدو أن هذه الملابس كانت تميل إلى الألوان الزاهية الجميلة المميزة من الحمرة والصفرة ، وهذا واضح عند ابن سارة ، من خلال وصفه للرياض ، فقد تعرض لوصف العرائس مكتملات الزينة والمرتديات أزهى الملابس.

أما الرياضُ فإنَّهنَّ عرائسُ لم يحتجبن حَذَارَ عَيْنِ الكالي (128)
جاد الربيعُ لها بنقَدِ مهورها دفعاً ولم يبخلْ بوزنِ الكالي (129)
تنثي الصبِّ منها أكفَّ زَبَرَجِدٍ منظومةً أطواقُها بلّالي (130)

ومن عادات أهل الأندلس عدم السماح للمرأة بالخروج إلا في مناسبات معينة كالأعياد والصلوات ، وارتياح الحمامات الخاصة بالنساء ، وغيرها من المناسبات الضرورية ، وقد نادى الشاعر أبو عبد الله بن مصادق الرندي بضرورة التمسك بهذا التقليد الذي تمثل في صيانة المرأة (131).

أمنع كرائمك الخروج ولا تظهر لذلك وجه منبسط
لا تعتبر منهنّ مسخطةً نيل الرضا في ذلك السخط
أولسنّ مثل الدرّ في شبه والدرّ من صدف إلى صفت

وحدد الشاعر أبو بكر محمد الأبيّض في عصر الطوائف والمرابطين للمرأة إذا اضطرت للخروج الأسلوب الأمثل لحركتها ، من التزام الحذر ، والتصنع ، وإلقاء التحية على نحو خاص . وقد قدم هذه النصائح الاجتماعية في أبياته التالية (132) :

كوني على حذرٍ فإنّ عدائنا ترقبونك بالمكان البلقع
فإذا لقيت سرّاتهم فتقنعي حذراً على خلق الهُمام الأروع
لّقي بنانك بالرداء وسلّمي تكفي الكريم إشارة بالإصبع

2.4.1 الأعياد والمناسبات

لقد كان للأندلسيين عاداتهم وتقاليدهم في الأعياد والمناسبات الدينية والاجتماعية المختلفة ، مثل : عيد الفطر ، والأضحى ، والنيروز ، وغيرها من المناسبات الأخرى ، وسوف نتناول أهم عاداتهم وتقاليدهم في هذه المناسبات . بالنسبة للتطلع لهلال رمضان ، فقد جرت العادة أن يخرج الرؤساء والأعيان لهذا الغرض ، كما حدث مع الوزير أبي الحسن بن سراج ومعه لمة من أعيان قرابة (133)، وهما هو الشاعر أبو الحسن عبد الكريم بن فضال الحلواني يفصح عن مشاعر المسلمين بضرورة التوبة وهجر الملذات بعد رؤية الهلال :

قالوا : غداً رمضانُ فاستعدّ تقي ونبّ على الصوم واهجر لذة الكأس
إنّ الهلال يُرى حتماً فقلت لهم حبيّتم بشتاتٍ بين جُلّاس
فقال لي الغيمُ : لا تحفل بقولهم عليّ سترته فاشرب بلا باس

فَقَمْتُ أَعَثْرَ فِي ذَيْلِ الْمَجُونِ إِلَى جَمْعِ الْمَسْرَةِ بَيْنَ الْكَاسِ وَالطَّاسِ⁽¹³⁴⁾

وفي نهاية الصوم كان الناس يأخذون في التطلع لهلال شوال ، وقد سجل الشعراء العشاق هذه العادة الدينية بأجمل الصور من خلال عقد موازنة بين الهلال ومحبوبة وتبنى الأمر بتفوق المحبوبة بهاءً وجمالاً . فحين حضر الشاعر أبو بكر بن مالك مع محبوبته لارتقاب هلال شوال فأعشى على الناس ورآه محبوبه فقال⁽¹³⁵⁾:

تَوَارَى هَلَالُ الْأَفَقِ عَنْ أَعْيُنِ الْوَرَى وَلَاخَ لِمَنْ أَهْوَاهُ مِنْهُ وَحْيَاهُ
فَقُلْتُ لَهُمْ لَمْ تَفْهَمُوا كُنْهَهُ وَسِرَّهُ وَلَكِنْ خَذُوا عَنِّي حَقِيقَةَ مَعْنَاهُ
بَدَا الْأَفَقُ كَالْمَرَاةِ رَاقٍ صَفَاؤُهُ فَأَبْصُرْ دُونَ النَّاسِ فِيهِ مُحْيَاهُ

وكان من تقاليد العيد صلاة العيد ، فكان إقبال الناس على أداء صلاة العيد بصورة أثارت وجدان الشاعر محمد بن عبد الله الأشبيلي ت(543هـ) عندما نظر يوم العيد ورأى كثرة الناس في المسجد احتفالاً وتضرعاً فأنشد قائلاً⁽¹³⁶⁾:

إِلَيْكَ إِلَهَ الْخَلْقِ قَامُوا تَعْبُدًا وَذَلُّوا خُضُوعًا يَرْفَعُونَ لَكَ الْيَدَا
بِإِخْلَاصِ قُلُوبٍ وَانْتِصَابِ جَوَارِحِ يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ سَجْدًا
نَهَارَهُمْ لَيْلٌ وَلَيْلُهُمْ هَدًى وَدِينُهُمْ رَعَى ، وَدُنْيَاهُمْ سُودَى
فِيَا الْحَكَمَ اللَّائِي تَوَلَّيْتَ نِظَامَهُمْ وَبِالْبَنِينَ اللَّائِي أَرَادْتَهُمُ الْهَدَى
أَزَلْ حَسَدَ الْحَسَادِ عَنِّي بِكِبْتِهِمْ فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حَسَدًا

ومن عادات الأندلسيين وتقاليدهم في عيد الأضحى ذبح خروف العيد ، حتى لدى الفقراء الذين لا تسعفهم القدرات المالية ، ويبدو كذلك ، ومن خلال أبيات الشاعر أبي بكر بن أحمد بن محمد الأبيض عادة تقديم الخمر مع الخروف في العيد استكمالاً للمتعة: ⁽¹³⁷⁾

أَتَتْكَ الْخَمْرُ يَا عِيدَ الْأَضَاحِي كَأَنَّ شِعَاعَهَا قَيْسٌ مُلِيحُ
فَلَا تَسْأَلْ عَنِ الْحَجَّاجِ مَاذَا تَعَالَجُ وَالْمَطِيُّ بِهَا رَزِيحُ
وَلَكِنْ عَنْ كُؤُوسٍ مُتْرَعَاتٍ كَأَنَّ سَرِيَّ شَارِبَهَا نَضِيحُ
وَقَدْ أَعَدَدْتُهُ ذَبْحًا كَرِيمًا لِيَوْمِكَ وَالزَّمَانُ بِهِ شَحِيحُ
زَعِيمَ حَظِيرَةٍ مِنْ آلِ ضَاغٍ لَهُ فِي قَوْمِهِ نَسَبٌ صَرِيحُ
تَرَى أَوْدَاجَهُ تُبْدِي نَجِيعًا كَأَنَّ ضَحَى النَّهَارِ بِهِ جَرِيحُ

وكان غنيمةً لأمير قوم مسالكةً إلى الغارات فيحُ
أصمّم في الصراطِ عليه شراً كأنّي فوقه بطَلّ مشيحُ
أفوتُ به السّوابق وهي تجري بشدةٍ جَهدُها ، وأنا مُريحُ

وقد جرت العادة في يوم النيروز "وهو أول أيام الربيع" أن يضعوا الحلوى في صورة مدائن ذات أشكال جميلة ، وقد قال الشاعر أبو عمران الطيرياني ت(604هـ) لما دخل يوم النيروز إلى بعض الأكابر وعادتهم ، أن يضعوا في مثل هذا اليوم مدائن من الحلوى لها صور مستحسنة ، فنظر إلى صورة مدينة فأعجبته فقال له صاحب المجلس : صفها وخذها فقال واصفاً هذه المدينة ومتحدثاً عن أيدي العذارى الناعمة التي صنعتها :

مدينة مسورة تحار فيها السحرة
لم تبنيها إلا يد عذراء أو مُخدرة
بدت عروساً نُحتلي من درقك مزعفرة
وما لها من مفاتيح إلا البنان العشرة⁽¹³⁸⁾

وقد أشار الشاعر ابن سارة خلال مدحه للأمير أبي بكر بن إبراهيم إلى عادة إيقاد النيران ليلاً . ابتهاجاً بهذه المناسبة :
في شارقٍ أبرز مشبوبةً أشرقَ فيها ليلُ مشآتته⁽¹³⁹⁾

وأشار أيضاً إلى عادة تقديم التهئة في مثل هذه المناسبة إلى أعيان الدولة :
وأشرفَ النيروز فاستشُرقتُ لي الأمانِي نَحْوَ عاداته⁽¹⁴⁰⁾

3.4.1 الرياضات المختلفة

وقد كانت من العادات والتقاليد التي انتشرت عند الأندلسيين ممارسة الرياضات المختلفة من صيد وسباحة وغيرها ، وكان لممارستها متعة وبهجة عند الأندلسيين ، ومن هذه الرياضات ، رياضة اللعب بالصولجان ، التي انتشرت عند الأندلسيين وكانت رياضة ممتعة ، وقد عقد ابن سارة مشابه بين ثمار النارنج ولعبة

الصولجان والكرة ، وبين الغصون التي تحركها الرياح ، وبين عصا الصولجان والكرة التي يوجهها اللاعب بمهارة فقال⁽¹⁴¹⁾ :

كرات عقيقٍ في غصون زبرجدٍ بكفٍ نسيم الرّيح منها صوالج
والأندلس بطبيعتها الجميلة ذات الأنهار والمياه الكثيرة مكان مهم لتعلم فن
السباحة حتى أصبحت عادةً وتقليداً عند الأندلسيين ، ومن الأبيات التي تصور هذه
الرياضة أبيات (ابن خفاجة) يصف شاباً جميلاً بارعاً في السباحة وكيف يعبر
الخليج ويشق الماء بروعة وإتقان ؛ فيقول: ⁽¹⁴²⁾

وصقيل إفرند الشّباب بطرفه	سقمٌ وللعضب الحسام ذباب
يمشي الهوينى نخوةً ولربما	أطرتّه طوراً نشوةً وشباب
شتّى المحاسن للوضاءة ربطةً	أبدأً عليه وللحياء نقاباً
وبمعطفيه للشّبيبة منهل	قد شقّ عنه من القميص سراب
عبر الخليج سباحة فكأنما	أهوى يشقّ به السماء شهاب

وقال ابن الزقاق أبياتاً في وصف غلام يسبح ، وقد انشغل في وصف جمال
الغلام ، أكثر من اهتمامه بقدراته ومهارته في فن السباحة ؛ إذ يقول :

جال طرفي بجدول	حاؤه كالسجنجل ⁽¹⁴³⁾
سابح فيه أغيدٌ	تخطه بخط مغزل ⁽¹⁴⁴⁾
خلته إذ بدا به	قمرأ في مكلل
بات تغشاه غيمة	تارةً ثمّ ينجلي ⁽¹⁴⁵⁾

وقد بقيت هناك أشعار كثيرة تتحدث عن هذه الرياضة أو العادة من حيث
أدواتها وفرائسها ، وقد اعتمدوا على الكلاب والبازي في صيدهم .

وأروع ما قيل من شعر في هذه الرياضة أبيات لابن خفاجة يصف بها كلب
صيد من حيث قدرته على التعرف على فرائسه ، وطول عنقه المطوق بالبياض
ويحمل صفة الطائر بسرعة انقضاضه على فرائسه ، فقال⁽¹⁴⁶⁾ :

وأخطل لو تعاطى سبق برقٍ	لطار من النجاح به جناح
يسوف الأرض يسأل عن بنيتها	فتخبر أنفه عنها الرّيح
أقبُ إذا طردت به قنيصاً	تتكب قوسه الأجل المتاح

أضلّ برأسه ليلٌ بهيـمٌ فشدّ على مخنقه صباح

لقد كان الاندلسيون يحملون موتاهم في توابيت معدة لهذا الغرض ، وكانت هذه النعوش تحمل على أكتاف الرجال ، وهذا واضح من خلال أبيات ابن الزقاق بأن الأحباب كانوا يتهادون حمل نعش أخيه في إعراز ، وبذلك يؤكد فكرة حمل النعوش :

يا حاملين النعش أين جياته يا ملبسيه الترب أين اللام⁽¹⁴⁷⁾

ومن عادات الأندلسيين وتقاليدهم أيضاً البكاء على الميت بكثير من اللوعة والعويل وخاصة النساء ، فهذا ابن الزقاق يسجل لنا صورة بكاء على أخيه . بأجمل الصور من حيث تعداد مناقبه ، ووصف العويل عليه فيقول⁽¹⁴⁸⁾ :

كثر العويلُ عليه بعد نعيّة	حتى كأنّ العالمين حمامٌ
وحكت دموع الغانيات عقودها	لو لم يكن يعقودهن نظام
قم تبصر الخفريات حولك حَسراً	لو كان يمكنه الغداة قيام
ضجّت لمصرعك النوادب ضجّة	سدّت مسامعها لها الأيام
سرّ الغمام على ثراك محيّياً	فعلى الغمام تحيّةً وسلام
واسمع عويل بكائها فلقد بكّت	لبكائها الاصواء والاعلام

ومن عاداتهم أيضاً النقش على شواهد القبور ، وتكون هذه النقوش أبياتاً شعريّة للوعظ ، وقد طلب ابن خفاجة أن تكتب هذه الأبيات على قبره⁽¹⁴⁹⁾ :

خليليّ هل من وقفة لتألم	على جدثي أو نظرة لترحّم
خليليّ هل بعد الردى من ثنية	وهل بعد بطن الأرض دار مخيم
وإنا حيننا أو ردينا لآخوة	فمن مرّ بي من مسلم فيسلم
وماذا عليه أن يقول محيياً	الأعم صباحاً أو يقول الا اسلم
وفاء لأشلاء كرم من على البلى	فعاج عليها من رفاق وأعظم
يردّد طوراً آهة الحزن عندها	ويذرف طوراً دمعة المترحم

5.1 المجالس الأدبية

ليس هناك ما يشير إلى وجود مجالس أدبية انعقدت في بداية عهد المرابطين أيام يوسف بن تاشفين ، ولعل سبب يعود إلى الدعوة الدينية التي قامت عليها الدولة المرابطية في الأندلس وانشغالهم بالجهاد ، وعدم تشجيع الأدباء والشعراء .

ولكن الأمر اختلف بعد ذلك ، فقد كان لتشجيع الأمير علي بن يوسف بن تاشفين أبلغ الأثر في ظهور المجالس الأدبية التي انتشرت فيما بعد وشارك فيها الخاصة والعامة على حد سواء .

وغالباً ما كانت هذه المجالس تعقد في قصور الخلفاء والأمراء والأعيان ، أو في المساجد و معاهد العلم ، ودور المعرفة ، بل وقد انعقدت هذه المجالس في أحضان الطبيعة ، وكان يدعى لها أعيان الوزراء ونبهاء الشعراء .

ومن الجدير بالذكر إن هذه المجالس تعد مظهراً من مظاهر حب الأندلسيين للعلم والإقبال عليه ، فهو أفضل زينة وأجل مكتسب ، وقد حرص الشاعر مرج الكحل على العلم والتعلم ، فقال (150) :

تَعْلَمُ إِن تَشَأْ عِزًّا	فكل جهالة ذلّة
فكم بالكِ على وزرٍ	بعينٍ منه منهلة
وريتما يزل اذا	اراد ازالة الزلّة
وهل تشفى بلا علمٍ	نفوسٌ هن معتلة
طبيب المرء علتّه	اذا لم يعرف العلة

وكان من أشهر جلساته " الأعمى التطيلي ، اليكي ، محمد بن عبدالرحمن القعلي (151) . وقد دخل المجلس القاضي أبو الحسن بن أضحى فلم ينهك به أحد ، فأنزل حيث إنتهى به المجلس ، فحضر هذان البيتان فأستاذن الأمير في إنشادهما ، فأذن له ، فقال (152) :

نحن الالهة في الظلام الحندس حيث احتلنا ثم صدر المجلس
ان يبخل الزمن الخؤون بعزنا ظلماً فلم يذهب بعز الانفس
وقد ذكرت المصادر الأندلسية أن الأمير علي بن يوسف بن تاشفين كان يرتاح للشعر وينبسط إلى أهله ، ويعنى بمجالس الأدب (153) .

ومن الواضح أن بلاطات الأمراء والوزراء والأعيان ، بل بيوت الخاصة والعامة كانت تموج بنشاطات أدبية وثقافية واسعة ، وكانون يثيرون فيها قضايا أدبية ونقدية مختلفة ، ويتناظرون حولها .

وقد عرف عن الوزير أبي بكر بن سعيد حبه للعلم والأدب ، فقد كان له مجلس خاص يرتاده أغلب الشعراء والأدباء ، وتعتقد بينهم مناظرات أدبية ومن هذه المناظرات ما كان يدور بين الشاعرة نزهون وأغلب الشعراء الذين يحضرون هذا المجلس (154) .
وقد حرص الشاعر أبو بكر المخزومي الأعمى على حضور مجلس الوزير ، وكان المخزومي فيما يصفه لسان الدين بن الخطيب " أعمى شديد الشر معروفاً بالهجاء " وقد دخل المجلس وحين استقر به المقام فأعجبته رائحة الند والعود ، والأزهار ، فأثارت قريحته الشعرية ، التي كانت تأتي عفو خاطر كبار الشعراء في مثل هذه المنديات الأدبية ، فقال (155) :

دار السعيد ذي ام دار رضوان	ما تشتهي النفس فيها حاضر داني
سقت إباريقها للند سحب ندى	تحدى برعد وأوتار وعيدان
والبرق من كل ساكب مطراً	تحيا به ميت أفكار واشجان
هذا النعيم الذي كن نحدثه	ولا سبيل له إلا بـآذان

وكانت مجالس الأدب في الأندلس ميداناً لامتحان سرعة البديهة ، وحضور القول والقدرة على الارتجال ، والإحاطة بالمعاني ، وانتقاء الألفاظ ، فقد أتى الأمير الأعدل (أبو محمد عبد المؤمن) بأسد وزر زور يتكلم ، فأحضرا بين يديه ، فلما بصر

به الأسد أقبل حتى ربض بين يديه وجعل يبصبص كما يفعل الكلب ، وتكلم الزرزور بكلام حسن ، ودعا للأمير ، فقال أبو علي بن الأشري وكان حاضراً في المجلس ؛ فقال (156) :

ورأى شبه أبيه فقصد	أنس الشبل ابتهاجاً بالأسد
قاضياً كلمةً لمّا وفد	ودعا الطائر بالنصر لكم
بالشهاداتِ فكلّ قد شهد	أنطق الخالق مخلوقاته
بعدما طال على الناس الامد	انك القائم بالأمر له

وانتقلت هذه المجالس إلى أحضان الطبيعة لتعقد فيها ، ويتبارى الشعراء بقصائدهم وراحوا ينشدون الشعر على البديهة ، كهذه المجالس التي كان يعقدها الشعراء ، فقد اجتمع الوزير أبو بكر بن القبطرنة والأستاذ أبو العباس ابن سارة في يوم جميل ، وقد اتخذوا من الطبيعة موضوعاً لمجلسهما وتباريا في القول (157) .

فقال ابن سارة :

هذي البسيطة كاعبَ ابرادها حلل الربيع وحليها النوار

فقال ابن القبطرنة :

وكان هذا الجوّ فيها عاشقٌ قد شفه التعذيب والإضرار

فقال ابن سارة :

فإذا شكا فالبرقُ قلبٌ خافقٌ وإذا بكى فدموعه الأمطار

فقال ابن القبطرنة :

من أجل ذلةٍ ذا وعزةٍ هذه يبكي الغمام وتضحك الأزهار

وانتشرت المجالس الأدبية التي كانت تعقد في أحضان الطبيعة في عهد المرابطين والموحدين ، وقد سجل الشعراء كل ما يدور فيها ، ولا بأس من الاستشهاد بأنموذج آخر من هذه المجالس .

وكان أبو عبد الله بن عائشة البلنسي مع ابن خفاجة في مجلس مع أهل الأدب تحت دوحة خوخ منورة ، فهبت ريح أسقطت عليهم بعض زهر ، فقال ابن عائشة ارتجالاً (158) :

تطلع أزهارها نجومًا	ودوحةٍ قد علت سماءً
فخلتها أرسلت رجومًا	هفا نسيم الصبا عليها
بدت فأغرى بها النسيمًا	كأنما الجو غار لمّا

الفصل الثاني

المرأة في الشعر الأندلسي

1.2 تمهيد

تكاد الدراسات الأدبية تجمع على مكانة المرأة في المجتمع الأندلسي ، والدور الذي نهضت به في حركة ذلك المجتمع : شاعرة ، ومعلمة ، وفقيرة ، وقاضية ... فقد ذكر ابن حزم في معرض حديثه عن خبرته بالنساء ، ممارسة المرأة للتربية والتعليم حيث قال " وهن علمنني القرآن وروينني كثيراً من الأشعار ، ودربنني في الخط " (159) . وتحدث ابن حزم عن " صنوف النساء العاملات ذوات الصناعة ، والحرف اللائي عقدن الصلات الاجتماعية مع الناس ، ففیهن ، الطيبية ، والحجامة ، والسراقة (المدلّكة) ، الدلالة ، والماشقة ، والنائحة ، والمغنية ، والكاهنة ، والمعلمة والصنّاع في الغزل والنسيج (160) .

كما أصبحت المرأة تتجاوز في أعمالها الواجبات المنزلية ، فتساهم في الحصول على القوت داخل البيت وخارجه ... يذكر لنا ابن بسام أن أمّ الشاعر الأندلسي لمعروف (ابن اللبّانة) كانت امرأة عاملة مجدة ، أخذت على عاتقها إعالة أولادها ببيع اللبن . وقد بلغت في عصور الأندلس المختلفة " كثيرات منهن في العلوم والآداب وساجلن الرجال في ميادين الشعر والعلم والفن ، وكثرت الجوّاري ... وزادت العناية بتهذيبهن وثقافتهن ، فكنّ يدرسنّ بجوار الغناء والموسيقى ، علوم اللغة والطب وعلم التشريح وعلوم الطبيعة " (161) .

وكانت المرأة الأندلسية تلتقي الرجال في ساحات الدرس ، وفي مجالس السمر وكانت تخرج إلى المساجد ، والأسواق ، والمتنزهات ، والحدائق العامة ، كما شاركت الرجل في مجالات الحياة المختلفة ، وأسهمت في صياغة مجتمع أندلسي يمكن أن نسميه مجتمعاً غير متملق (162) .

وبلغت المرأة في عصر المرابطين والموحّدين شأواً عظيماً ، وكان لها نفوذ واسع في الحياة الاجتماعية ، فكانت عند المرابطين ، تشترك في مجالس القبيلة ،

وتشارك في الأمور الهامة⁽¹⁶³⁾، فقد سمح يوسف بن تاشفين لزوجته بمشاركته في إدارة شؤون الحكم⁽¹⁶⁴⁾.

كما أسهمت المرأة الأندلسية في حل بعض القضايا المستعصية على القضاة ، فعندما كان قاضي مدينة لوشة تستعصي عليه حلّ بعض القضايا كان يستجد بزوجه⁽¹⁶⁵⁾ . وكان الرجل منهم ينسب لأمه ، وفي ذلك يقول النويري في كتابه نهاية الأرب : " جميع الملتئمين ينقادون لأمر نساءهم ، ولا يسمّون الرجل إلا بأمّه ، فيقولون ابن فلانة ، ولا يقولون ابن فلان ⁽¹⁶⁶⁾ " .

وكان للمرأة المرابطية نفوذ كبير في الدولة ، من ذلك أنّ زينب بنت إسحق النفزاوية زوج أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كانت ذات سلطة واسعة ، وكان زوجها يستشيرها في إدارة شؤون الدولة ، ويستمع إلى رأيها ، فكانت تولي من تشاء وتعزل من تشاء ، فقد أمرت بعزل القاضي زرهون المعروف بابن خلوف عندما بلغها أنه مدح السيّدة حواء زوجة سير بن أبي بكر وفضلها على سائر نساء الأندلس ، وبقي معزولاً إلى أن أمرت بإرجاعه بعد أن مدحها ، وضم السيّدة حواء في قوله⁽¹⁶⁷⁾ :

أنت بالشمس لاحقة وهي بالأرض لاصقة

فمتى ما مدحتها فهي من سير طالقة

فضحكت ، وكتبت إلى يوسف برده إلى القضاء .

وقد مدح الأعمى التطيلي حواء هذه بأبيات أشار فيها بفضائلها التي سبقت بها الرجال ، وتفاوتت عليهم ، وذلك في قوله⁽¹⁶⁸⁾ :

يا أخت خير ملوك الأرض قاطبة وإن أعتوا وإن أسموا وأن نسبوا

أنثى سما باسمها النادي وكم ذكر يدعى كأن اسمه من لومه لقب

أما رأيت ند حواء كيف دنا بالغيث إذا كاد يأتي دونه العطب

حواء يا خير من يسعى على قدم ولست عبدك إن لم اقض ما يجب

لذا فقد قصد الشعراء بعض النساء المرابطيات ، وتوسّل بهنّ من له حاجة فقد

كتب ابن خفاجة إلى الأميرة مريم بنت إبراهيم يتشفع بها إلى الأمير طاهر تميم بن يوسف ابن تاشفين بقصيدة مطلعها : ⁽¹⁶⁹⁾

يممت من عليك خير ميم وحللت من مغناك دار مخيم

وكفى احتماء مكانة وصيانة
ذات الأمانة والديانة والتقى
من اسرة يتلثمون إلى الوغى
من بيت عز من بنال حيث لا
أنى علفتُ بذمة من مريم
والخلق الاشرف والطريق الأقوم
يوم الحفيظة بالعجاج الأقم
تلقي بغير مسودٍ ومعظم

وتزعمت بعض النساء في عصر الموحدّين الحملة على الولاة وأرباب الوظائف المالية فقد ذكرت المصادر أن الشاعرة الشلبية ، كتبت قصيدة بعثت بها للخليفة أبي يعقوب المنصور في مصلاه يوم الجمعة ، وقد بينت فيها ما حلّ بأهل بلدتها شلب من صنوف الظلم على أيدي عمال الدولة الموحدية ، وما أصابهم من بلاء بسب عسفهم ، وظلمهم ، وذلك إذا تقول (170) :

قد آن أن تبكي العيون الآبيّة
يا قاصد المصر الذي يرجى به
ناد الأمير إذا وقفت بيابه
أرسلتها هملاً ولا مرعى لها
شلب كلا شلب كانت جنّة
خافوا وما خافوا عقوبة ربهم
ولقد أرى أن الحجارة باكيّة
إن قدر الرحمن رفع كراهيّة
ياراعياً إن الرعيّة فانيّة
وتركتها نهب السباع العاديّة
فأعادها الطاغون ناراً حاميّة
والله لا تخفى عليه خافيّه

وفي المقابل لم تتخلف النساء الشواعر عن تقديم التهنئة لوليّ الأمر في المناسبات الدينية والاجتماعية ، فقد أرسلت الشاعرة حفصة الركونية إلى الأمير الموحدّ أبي سعيد صاحب غرناطة مقطوعة شعرية تمنّت له فيها الهناء بعيد الفطر ، وذلك إذ تقول (171) :

ياذا العُلا وابن الخليـ
يهنيك عيدٌ قد جرى
فه والإمام المرتضى
منه بما تهوى القضا

وغالى بعض الآباء بمهور بناتهم مغالاة كبيرة ، وذلك أن إعدادهن للزواج كان يكلفهم فوق الطاقة ، وقد علّل المراكشي هذه الظاهرة " بأن أثمان بنات الروم المسيبات في غاية القلة " وإنّ المغالاة في مهور الحرائر على هذا النحو كان وسيلة الترغيب الرجال بها (172) ، لذلك فإن ابن سارة تظاهر بالارتياح عندما ماتت ابنته وهي في سن الزواج لأنه تخلص من عبء إعداده للعرس (173) .

وقد اهتم الشعراء بالمرأة من خلال توجيه النصائح الشعرية لهنّ، وإرشادهن إلى السلوك الأمثل (174) .

وتقدم بعض الشعراء إلى زوجاتهم بالتهنئة في المناسبات الاجتماعية ، فقد كتب عبد الله ابن محمد الرشيد أبياتاً هنا فيها زوجه بالسلامة بعد ان وضعت له ولداً ، حيث قال (175) :

أهنيك بل نفسي أهني فأنني بلغت الذي كان اقترحي على الدهر
خلاصك من أيدي المنون وغرة بدت للمعلّى مثل دائرة البدر
وكما مدح الشعراء النساء ، وتقدّموا بالتهاني لهنّ ، فإنهم كذلك عبّروا عن أحزانهم عند فقدان المرأة سواء أكانت أما ، أم زوجا ، أم بنتاً ، أم أختاً ، ومن الشعراء الذين رثوا أمهاتهم الأعمى التطيلي ، فقد رثاها في قصيدة استشعر فيها مرارة الفقد ، وعبر عن التّقاء الأحزان في فؤاده ، مثلياً على خصائصها الحسنة كما في قوله (176) :

هو الحمام ولم يضرب له أجلاً فلا تقل ليّتي منه على حذر
يا قبر أمّ علي هل علمت بها إنّ السيادة بين الشرب والمدد
أنثى ولكن إذا عدّوا فضائلها لم يدع الفضل من أنثى ولا ذكر
تتلو الكتاب وتتلو من مآثرها آياً كأني ، ولم تظلم ولم تجر
قوامة الليل تتلوه وتتقنه على إختلافه من طول ومن قصر
حتّى إذا الصبح جلى ليلتها فزعت إلى صيام بمرضاة الإله حدي
كأنّ محرابها ، والليل معتكراً في هالة البدر بين البيض والعشر
وإذا كانت الأشعار السابقة تدل على الصورة الإيجابية للمرأة الأندلسية في عصر المرابطين والموحدين ، فإنّ ثمة أشعاراً أخرى تعبر عن مواقف سلبية منها ، فقد تنمّر ابن سارة الشنتريني من زوجه ، حتّى إنه تخلص منها بالطلاق ، لأنها تتصف بالخبث والنفاق ، والتلون مثل الحيوانات كما في قوله (177) :

أما الزمان فرق لي من طلة كانت تطلّ دمي بسيف نفاقها
الذئبة الطلّساء عند نفاقها والحية الرقشاء عند عناقها
ومن مظاهر تحرر المرأة الأندلسية أيضاً تفننها في أنواع اللباس والزينة ، وكما كان يغلب على الحرائر منهن لبس الحجاب وهو أشدّ وأعنف عندهن من نساء الشرق (178).

2 . 2 الصورة الجمالية للمرأة الأندلسية

من الطبيعي أن نجد في الشعر الأندلسي زمن المرابطين والموحدين شعراً يتغزل بالمرأة ، ويتغنى بمحاسنها ، ويعبر عن التعلق بها ، والحنين لها ، ويصور مشاعر الحب نحوها . وقد كثر هذا الشعر في دواوين الشعراء وفي غيرها من المصادر الأندلسية ، سواء أكان يعبر عن تجارب حب حقيقية عاشها الشاعر أم كان ضرباً من التعبير عن الافتتان بالجمال في لحظة من اللحظات .

ولا ريب في أن الذوق الجمالي في الأندلس قد أصابه قدر كبير من التغيير بسبب امتزاج الأجناس واختلاط الدماء ، والأعراق ، ومن ثم فإنه من المتوقع أن تظهر في المرأة الأندلسية مياسم جمال يتردد صداها في الأدب ، ولعل أظهر سمة جمالية تغنى بها الشعراء الأندلسيون شقرة الشعر وزرقة العيون ، ولاحظ ابن حزم إعجاب أمراء بني مروان بالنساء الشقراوات ، بل إنه نفسه أشار إلى أنه لم يستحسن سوى هذا النمط من الجمال⁽¹⁷⁹⁾.

غير أن هذه السمة الجمالية لا تبدو واضحة في الشعر في عصر المرابطين والموحدين، ومما ورد الإشارة إليها قول ابن سارة الشنتريني⁽¹⁸⁰⁾:

ومهفهف أبصرت في أطواقه قمرأ بأفاق المحاسن يشرق
يقضي على المهجاة منه صعدة متألق فيها سنان أزرق

فالحبيبة في هذين البيتين بيضاء البشرة ، شقراء الشعر ، زرقاء العينين .

وإذا ما تجاوزنا هذه السمات الجمالية إلى غيرها فإن الشعراء ظلوا يستمدون أوصافهم للمرأة من معجم اللغة الغزلية التي تداولها الشعراء من قبل على شاكلة قول ابن جعفر السكوني يصف حبيبته وحمرة خديها ولمعان وجنتيها ، وتأود قدها ، مستعيراً لها صفات الورد ، والأغصان والأقحوان . إذ يقول⁽¹⁸¹⁾ :

ولو شاء أرسلها وردة فدلّت على الورد للعاشقين
على أن هذا وهذا معاً يدلّ على خدّ والجبين

وكثيراً ما أستسلم الشعراء لأحلام اليقظة وهم يصفون اللقاءات الليلية مع محبوباتهم، وما كان يدور فيها من إنتهاب لصنوف اللذائذ والمتع ، كما في الأبيات التالية لابن خفاجة وقد امتزجت فيها أوصاف الحبيبة بجمال الطبيعة :

وكأنه من وصف شعرك	ياربَّ ليلٍ بتـهـ
فيه ويندى نورُ ذكـرك	تتهلّ مزنةٌ دمعتي
قد وردتها نارٌ هجـرك	وشرقتُ فيك بعبرةٍ
حببَ بها رُمانَ نحـرك	فكأنما ينقضُّ عنـ
ظلامه بجبين بـدرك	ولرُبَّ ليلٍ قد صدعت
مكنونةٌ في حق خـدرك	ولهوتُ فيه بـدرةٍ
به وتتفح ريح نشـرك	تتدى شقائق وجنتيك
سوسان جيدك طـل درك	وقد استداد بصفحتي
تجري بوجنة كأس خمرك	حيث الحباية دمعـة
بقضيب قدك ريح سكرـك	وتهزُّ منك فتنتي
فك موجةٌ في شط خصرـك (182)	وتعبُ من رجراج رد

فابن خفاجة مأخوذ في هذه الأبيات بوصف جمال صاحبتة مركزاً على مظاهر الفتنة فيها ، مقيماً مفارقة واضحة بين الإطار الزماني لهذا اللقاء (الليل) وبين الحبيبة بجمالها الذي اختلط فيه البياض بالحمرة فصنع سواد الليل ، ونشر النور فيه ، مازجاً بين هذا الجمال وعناصر الطبيعة على نحو أخاذ .

ولا ريب أن مثل هذه الأبيات وغيرها تصوّر أنماط العلاقات التي سادت بين الرجال والنساء في إطار الحياة الوجدانية ، وهي في أغلبها كما يستشف من الشعر ، علاقات حسية قائمة على المتعة ، وهنا استشهد مرة ثانية بأبيات أخرى لابن خفاجة تطفح بالغريزة النوعية المتوقدة ، وتسني برغبات شاعر لا يقف عند حدٍ إذ يقول (183) :

تسافرُ كلتا راحتيَّ بجسمه	فطوراً إلى خصر وطوراً إلى نهد
فتهبط من كشحيه كف تهامة	وتصعد من نهديه أخرى إلى نجد
وقد ملت من تقبيل خدٍّ إلى فمٍ	أقول بتفضيل القراح على الورد

وتكاد الأبيات التالية التي قالها الشاعر ابن أبي روح من شعراء الموحّدين تخرج عن المعنى العام للأبيات السابقة التي قالها ابن خفاجة ، وإن الاختلاف بينهما كان في فن الصياغة وأساليب التعبير ؛ يقول :

عرج بوادي العسل	وقف عليه واسأل
-----------------	----------------

عن ليلة قطفتها	ضمًا بد غم العذل
أرشفُ خمر الريق أو	أقطف ورد الخجل
وقد تعانقنا اعتنا	ق القضيب فوق الجدول
بتنا إلى أن حثنا	إلى النوى برد الحلي
فلم يهيج بلابلي	غناء البابل (184)

وأرى أن الأشعار السابقة ربما كانت دالة على أن الذوق الجمالي في الأندلس في عصر المرابطين والموحدين كما عبر عنه الشعر ، ظل في إطار متعارف عليه لدى الشعراء في البيئات الإسلامية الأخرى ، بل أن خضوع الشعراء لوطأة التقليد وعدم قدرتهم على تجاوز المألوف الفني جعلهم يستعيرون أحياناً ، النموذج الطللي لوصف محبوباتهم والتعبير عن لواعج الشوق في نفوسهم حين الوقوف على ديار صواحبه كما في قول ابن الزقاق البلسي (185):

وقفتُ على الربوع ولي حنينٌ	لساكنهنَّ ليس إلى الربوع
ولو أني حننتُ إلى مغاني	أحبائي حننتُ إلى الضلوع

ولا بأس في الاستشهاد هنا بنموذج آخر يبين مدى تمسك الشعراء بالتقاليد الفنية في الوقوف على الأطلال على الرغم من اختلاف البيئات الأندلسية ، كما في قول مرج الكحل (186) :

معاهدٌ تذكي حرقه الكبد التي	تكابد من آلامها ما تكابد
كأن بها الغدران زرق نواظرٍ	بها الظلُّ كحلٌ والغصون مراد

ولعل هذا يشير ، بصورة أخرى إلى تشبث الأندلسيين بعروبتهم ، وتمسكهم بجذورهم الأولى .

وإذا ما بحثنا ، بعد ذلك عن شعر غزلي يتصل بالنواحي الاجتماعية ، فإننا نقف هنا عند ثلاثة أمور ، مثل زينة المرأة الأندلسية ، ومنها القصص الغزلي الشعري ، ومواقف الوداع .

أما الأمر الأول فإننا نقف في الشعر الأندلسي زمن المرابطين والموحدين على بعض اللقطات التصويرية التي تصف زينة المرأة الأندلسية آنذاك ، والأساليب التي كانت تستعين بها في تجملها وإظهار محاسنها ، كما في الأبيات التالية التي يصف فيها

ابن الزقاق محاسن صاحبتة ، وكيف أنها جاءتة معطرة بشذى المسك، وخلعت وشاحها وحليها(187) :

وأنسة زارت مع الليل مضجعي فعانقت غصن البان منها إلى الفجر
أسائلها أين الوشاح وقد غدت معطلة منه معطرة النشـر
فقالـت وأومت للسوار نقلته إلى معصمي لما تقلقل في خصري
ويستشف من الصورة التالية التي رسمها ابن أبي الخصال للورد والترنجان أن
بعض العذارى الأندلسيات كن يتخذن مقانع خضراً يسترن بها وجوههن ، وذلك في
قوله (188):

وردٌ جنى طالعنا خدودَ ببشرٍ ونشرٍ يبعثان على السكر
وحفّ ترنجانٌ به فكأنما خدود العذارى في مقانعها الخضر
وكان بعضهن يتخذ مقانع سوداء رقيقة تشف عن جمال الوجه ومحاسنه ، ولرقة
هذا القناع فكأنه لم يسدل على الوجه ، كما يقول أبو محمد عبد المنعم بن الفرس(189):

برزت بوجهٍ مثل بدوٍ مُكْمَل من تحت سترٍ كالظلام المقبل
قد رقّ ذاك الستر فوق جبينها فكأنه من رِقّةٍ لم يُسَدَّل
فحبته الماء الزُّلال وقد بدا فيه زُلالُ الحُـقِّ للمتأمل
ووصف ابن الزقاق إحدى الحسان الأندلسيات خرجت من منزلها وقد زجبت
حواجبها في تقوَس يسلب الأبصار ، وزينت ترائبها بنجوم حلي تبهر الأنظار ،
وعطرت جسدها بصنوف الطيب الذي يستثير مشاعر كل من يتنسمه ، وذلك إذ
يقول(190) :

فكم ليلةٍ ليلاءُ خليتُ مثلها من الهمِّ في غربيها المتراكبِ
بكلِّ فتاةٍ إن رمتك بسهمها فعن حاجبٍ تشبيهه قوسُ حاجبِ
تتسمتُ من أنفاسها أرجَ الصِّبا وجنيتُ علويَّ الصِّبَا والجنائبِ
وما جنت الظلماءُ إلا لبستها دثاراً على ضافي شعورِ الذوائبِ
وقد أذهلتني عن نجومِ سمائها نجومٌ حُلِّيَّ في سماءِ ترائبِ
واهتمت المرأة الأندلسية بالخضاب ، واتخذته لتلوين الشعور والأيدي والأظفار ،
كما يستدل من قول ابن خفاجة (191):

يرمى به الأمل القصي فينثني مخضوب راء الظفر والمنقار

ويطرفنا ابن الأبار بلقطة تصويرية تبدو المرأة فيها أمام مرآتها تتأمل محاسن وجهها، وتتخذ وسائل الزينة المختلفة ، من أقراط وخلاخل فإذا ما استكملت ذلك أسدلت خمارها على وجهها وخرجت ، يقول (192) :

تناولت المرأة وهي صقيلة تأمل وجهها دونه ذلك الصقل
فلما تناهت أودعتها غشاءها وقد حدث القرطان واستمع الجمل
فشبهتها بدرأ علاه خسوفه فأظلم منه ما أنار له قبل

أما القصص الغزلي الشعري ، فقد كثر في عصري المرابطين والموحدين على نحو ملحوظ ، حيث كان الشعراء ينظمون بعض قصائدهم في صورة حكاية فيها الشخوص والأحداث مع الاهتمام بإبراز الحوار وعنصري الزمان والمكان . وربما أن مثل هذه القصص الشعرية الغزلية كانت ذات غايات اجتماعية ، ولعل الشعراء كانوا يتداولونها في مجالس سمرهم وأنسهم بقصد التشويق والإثارة وإظهار البراعة الفنية . ومن الشعراء الذين سلكوا هذا المسلك الأعمى التطيلي في قصيدة ورد جزء منها في ديوانه ، في حين أن أبياتها كما ورد في كتاب النفع ثلاثة وثلاثون بيتاً وقد شكا فيها إلى (أم المجد) التي اتخذها رسولاً بينه وبين صاحبتة ، معاناته وإهمال صاحبتة (لذيذة) له ، وعدم اكتراثها به ، يقول (193) :

أشقى بها وهي عني في بلهنية شتان ، والله بين الجد واللعب

وبعد هذا يدور حوار طريف بين الشاعر وأم المجد تتضح فيه أن يصارح صاحبتة ، ويعبر لها عن مشاعره نحوها لعل قلبها يرق له أو يحنو عليه ، ولكنه يظهر تهيباً من ذلك ، فتتولى هي مهمة استمالة هذه الفتاة وترويضها بأساليبها الخاصة لأنها ذات خبرة بهذه الأمور وهنا ينتقل الحوار ليغدو بين أم المجد والفتاة (لذيذة) لينتهي بإقناعها ولينتهي المشهد وقد انكب الشاعر على يد العجوز أم المجد يقبلها شاكرًا لها؛ يقول (194) :

فقلت : أشك إليها ما لقيت ولا ترهت فلن تبلغ الآمال بالرهب
عسى هواك سيعديها فينصبها وقد يكون الهوى أعدى من الجرب
فقلت أعظمها بل ما أكلمها إلا أشار إلي الموت من كئيب

قالت أنا أتولى ذاك في لُطْفٍ
فقلت مثلك من يُرجى لمعضلة
قالت لها يا لذيذ الحسن صاحبنا
صليبيه أو فاقتليه فالحمام له
فلو تراني قد استسلمت مرتعباً
حتى إذا ما ألانت تلك جانبها
طفقت ألثم كفيها وقد جنحت

فقد أولف بين المساء واللهب
لا زلت في غبطة ممتدة الطنب
يهفو إليك وأضحى جد مكتئب
خير من الجهد في جد وفي تعب
منها حنان الرضى أو جفوة الغضب
والقلب مهما أرُم تسكينه تحب
إليّ تضحك بين العجب والعجب

والأبيات ، بالإضافة إلى قيمتها الفنية ، فإنها ذات دلالات اجتماعية بالغة ،
فشخصية (أم المجد) التي توصل بها الشاعر للوصول إلى الفتاة (لذيذة) ليست مجرد
شخصية فنية ، بل لها أساس من الواقع الاجتماعي ، فقد انتشر هذا النمط من النسوة
اللواتي يتوسطن بين المحبين في المجتمع الأندلسي ، فقد ورد في كتاب (طوق
الحماقة) : "ويقع في الحب بعد هذا ...إدخال السفير ، ويجب تخيره وارتياحه
واستجادته" وأكثر ما يستعمل المحبون في إرسالهم إلى من يحبونه ، إما خاملاً لا يؤبه
له ولا يهتدي للتحفظ منه ... وإما جليلاً لا تلحقه الظن لنسك يظهره ، أو لسن عالية قد
بلغها ، وما أكثر هذا في النساء ولا سيما ذوات العكاكيز والتسابيح والثوبين الأحمرين ،
وإني لأذكر بقرطبة التحذير للنساء المحدثات من هذه الصفات حيثما رأيتها " ويستمر
ابن حزم في الحديث عن دور هؤلاء النسوة في المجتمع الأندلسي قائلاً " فكم من منبع
سهل بهذه الأوصاف ، وعسير يسر ، وبعيد قرب ، وجموع أنيس ، وكم داهية وهت
الحجب المصونة ، والأستار الكثيفة ، والمقاصير المحروسة ... " (195) ، ويضرب في
موضع آخر أمثلة متعددة عاينها ابن حزم واطلع عليها في صباه .

ولا بأس الاستشهاد هنا بنموذج آخر يظهر فيه هذا النوع من الغزل القصصي
عند ابن بقيّ الاندلسي ؛ يقول (196):

دخلتُ عليها خيمةً شرفاتها
فقالت : أَلصّ قلت : بل ذو صرامةٍ
إليك شققت الليل كالسيل يرتمي
فقالت : أقم عندي لك الوصل كاملاً

وأعمدها بيض رقاق وخرسان
تشبّ على أحشائه من منك نيران
وفيك أسفتُ الهول والهول خطبان
على أن خط العين مني حرمان

يتحدث ابن بقيّ عن محبوبته ملكته بحسنها وسحر جمالها ، جاءها زائراً وقت انتصاف الليل ، وبدى هذا النوع من الشعر وهو الغزل القصصي عندما دخل خيمة محبوبته واصفاً هذه الخيمة بأن شرفاتها وأعمدها بيض رقاق وخرصان ، وفي هذه اللحظة يدول الحوار بين الشاعر ومحبوبته بقولها أنت لص فجاوبها الشاعر بأنه رجل عاشق متيم ، جلبه الشوق والحنين الذي يمتلك قلبه ، وأن هذا الشوق مثل النار تآكل أحشائه ، وفي نهاية الحديث تطلب المحبوبة من الشاعر أن يقيم عندها وتقربه بأن له الوصل كامل وأنها ستغمره بالفرح والسعادة التي جاء يطلبها .

أما الموقف الثالث فإننا نقف في الشعر الأندلسي زمن المرابطين والموحدين على بعض اللقطات التي تظهر فيها مواقف الوداع بصور جليلة . وفي هذا يقول الفقيه أبو محمد عبد الحق بن عطية (197) :

استودعُ الله من ودّعتُهُ ، ويدي	على فؤادي خوفاً من تصدّعه
برد من الودّ حازته مغاربه	فالنفس قد استخفت طرفاً لمط
أتبعته بعد توديعي له نظراً	إنسانه غرق في بحر أدمعه
ما أوجع البين في قلب الكريم غداً	يفارق المجد في ثوب مودّعه
يذيقه البين تعذيباً ، ويمنعهُ	من أن يطير شعاعاً أسدّ أضلعه
يسطو به البين مغلوباً فليس سوى	تململ في فراش من تفجّعه

وفي هذا الصدد استشهد أيضاً بأنموذج آخر للوزير الفقيه الحسيب المشاور وهو يتوجع فيه من الفراق ، ويصف لنا بعضاً من صور الوداع ، يقول (198) :

أزف الفراق وفي الفؤاد كلوم	ودنا الترحل والحمام يحوم
قل للأحبة كيف أنعم بعدكم	وأنا أسافر والفؤاد مقيم
قالوا : الوداع يهيج منك صباة	ويثير ما هو في الهوى مكتوم
قلت : اسمحوا لي أن أفوز بنظرة	ودعوا القيامة بعد ذاك تقوم

2 . 3 رثاء الزوجات في الشعر الأندلسي

إن الدارس للشعر الأندلسي يجد أن رثاء المرأة فيه يحتل مساحة واسعة ، فقد بكى الشعراء الأندلسيون زوجاتهم ، وارتفعت أصواتهم بالعويل ، وذرفوا عليهم الدموع وانقلبت حياتهم من السعادة إلى الحسرة ، والحزن

كما يعتبر رثاء المرأة من أشد أنواع الرثاء صعوبة ، وهذا ما أشار إليه ابن رشيق في كتابه " العمدة " ، إذ يقول " ومن أشد الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثي طفلاً أو امرأة ، لضيق الكلام عليه فيها ، وقلة الصفات " (199).

والرثاء معزوفة الحزن على أوتار القلب ، وإنشودة الأسى على قيثارة النفس ، وهو من أجل ذلك يسمو على الفنون الشعرية ، من حيث الصدق " وتفجر الشعور ، والعاطفة . كما هو التفجع المخلوط بالحسرة ، والتلهف ، والأسى على هذا الذي مضى من حيث لا رجعة إلى هذه الحياة الدنيا (200).

كما نظم الشعراء في المرأة شعراً في رثائها ، والبكاء على فراقها ، وندب الموت الذي حال أو فرق بينهم ، فكان شعرهم صادقاً مليئاً بالعاطفة الجياشة التي تعبر عن هذا الموقف الحزين

ومن أهم الظواهر البارزة في عصر المرابطين والموحدين رثاء الزوجات ، وهو رثاء يتسم بالذاتية ، ويعتمد على ميل أصيل إلى البوح بعواطفهم ، وإظهار قسوة الفراق ، وحرقة الفؤاد ، على زوال الرقة والجمال ، والحياة السعيدة (201) .

ولعل خير من يمثل رثاء الزوجات في عصر المرابطين والموحدين الشعراء الأعمى التطيلي ، وابن الزقاق ، وابن جبير ، الذي نسج ديواناً كاملاً في رثاء زوجته (أم المجد) والذي لم يصلنا ... بالإضافة إلى العديد من الشعراء الآخرين.....

ومن الشعراء الذين رثوا زوجاتهم الشاعر ابن الزقاق البُلنسي ، فقد رثى زوجته (درة) بقصيدة شحنها بالحزن الموجه ، وصور الفراغ الكبير الذي تركته في نفسه ...وذلك بقوله (202):

ويا درُّ ما للبيت أظلم كسـرهُ	تراكِ تيممت الترابَ تـراكِ
ويا زهرةً أنوى الحمام رياضَها	لقد فجعت كفَّ الحمام ربـاكِ

سقاك الندى حتى تعودني نضيرةً
فدتك كريمات النساء وربما
وهل دافع عنك الفداء منيَّةً
عزيزٌ علينا أن مضجعك الثرى
كما رثى الشاعر ابن قبطرنة⁽²⁰³⁾ زوجته رثاءً صادقاً ، معبرة عن عظم فجيعة
بفراقها حتى إسود قلبه ، وإبيضت عيناه من الحزن ، وفي ذلك يقول⁽²⁰⁴⁾ :

يا ربة القبر فوق القبر ذو حزن

يرثي له القبر من شجوٍ ومن شجنٍ

تباينت فيك أحوالي أسى فمضى

إلى لقائك صبري طالب الوسن

وخالف القلب فيك العين من كمدٍ

فاسود بالغم وإبيضت من الحزن

ويعتبر الأعمى التطيلي من أشد الشعراء في عصر المرابطين والموحدين ،
حزناً ، وتفجعاً ، في رثاء زوجته ، فشعره ينم عن أسى ، وحزن عميق ، وعاطفة
صادقة ، تعبر عن شدة ألمه لفراق زوجته ، ويتمنى لو أن صدره قبرها وفؤاده
مستقرها ، ثم يصف حاله وما آل إليه أمره بعد فراقها ، في قصيدة طويلة تعبر عن
وفاء الزوج لزوجته ، وتشتمل على صور بديعة ، فيها الأسى والحزن والحسرة ،
والتنهد على فراق شريكة العمر ... ومن هذه القصيدة اخترت هذه الأبيات التي يقول
فيها⁽²⁰⁵⁾ :

على قرب عهدٍ بالطلاقة والبشر

بكيت عليه بالتجلد والصبر

على أن عندي ما يزيد على الخبر

فقد ساء ظني بين أدري أو لا أدري

وأن تراها من دموعي على ذكر

ونبت ذلك الوجه غيره البلى

بكيت عليه بالدموع ولو أبت

أمخبرتي كيف استقرت بك النوى

وما فعلت تلك المحاسن في الثرى

يُهوّن وجدي أن وجهك زهرة

دعيني أعلل فيك نفسي بالمنى
 خذي حديثي هل أطق على النوى
 ووالله ما وفيئت رزءك حقاً
 أيا قرّة العين إعتباراً وحسرة
 هنيئاً لقبر ضمّ جسمك أنه
 ولا تعذّليني إن أقمت فربما
 كما رثى الشاعر عامر بن الحمارة زوجته (زينب) بأبيات يصفها فيها بأنها
 نجماً هوى، وزهرة ذبلت ، ولا يجد لنفسه مبرراً للزواج بعدها ، فهذا الوفاء أقل شيء
 ممكن أن يقدمه الرجل الصادق في حبه لزوجته إذ يقول (206) :

أزَيْنَبُ إِن طَفْتُ فَإِنَّ ظَهْرًا
 بِأَيَّةِ حُجَّةٍ (207) أَسْعَى لِأُنْثَى
 وَلَمَّا أَنْ حَلَلْتَ التَّرْبَ قَلْنَا
 أَلَا يَا زَهْرَةَ ذَبَلْتُ سَرِيعاً
 أَقْلُكَ سَوْفَ تَرْكَبُهُ الْمَقِيمُ
 سِوَاكَ وَأَنْتِ هَامِدَةٌ هَشِيمُ
 لَقَدْ خَلَّتْ مَوَاقِعُهَا النَّجُومُ
 أَظُنُّ الْمُزْنَ أَمْ رَكَدَ النَّسِيمُ

كما رثى الشاعر بن جبير زوجته (أم المجد) بديوان شعري كامل ، تظهر في
 معظم أشعاره العاطفة الجياشة والصادقة ، فيذكر مناقب زوجته هذه المناقب الكريمة
 التي تتصف بها ، كما يعبر عن حبه الصادق إتجاه زوجته التي فرق بينهما الموت ،
 ويتمنى لو أنه يستطيع ركب الهوى والوصول إلى ديار وقبر زوجته فيزورها ويبيكها ،
 ومن هذه الأشعار اخترت هذين البيتين وفيهما يقول (208) :

بِسَبْتَةٍ لِي سَاكِنٌ فِي الثُّرَى
 فَلَوْ أَسْتَطِيعُ رَكَبْتُ الْهَوَى
 وَخَلُّ كَرِيمٌ إِلَيْهَا أَتَى
 فَزَرْتُ بِهَا الْحَيَّ وَالْمَيِّتَا

وقد رثى ابن سارة زوجته بمجموعة من الأبيات تظهر فيها العاطفة الصادقة
 الحزينة على فراق الزوج ، فالكبد قد تفطر أسى وحزناً على فراقه ، فهي مثل النوّارة
 التي تملأ الأفق بالأريج والراحة الزكية ، كما في قوله (209) :

تَفْطَرْتُ كَبْدُ الْعَلِيَا لِلْوَلْوَةِ
 نَوَّارَةٌ مَلَأَتْ أَفْقَ التَّقَى أَرْجَاً
 لَمْ يُوَدِّغِ التَّرْبَ إِلَّا مِنْ كَرَامَتِهَا
 وَرَدَّهَا الدَّهْرُ صَوْنًا فِي كَمَامِهَا

كما يبقى الرجل وفياً للمرأة التي لم تأل جهداً في إسعاده ، وإعطاء متعة للحياة ، فلا غرابة أن يعزف الرجل عن متع الحياة والدنيا ، وملذاتها بعد رحيلها ، إخلاصاً لها ، هذا ما ترجمه الشاعر أبو محمد بن القبطرنة ، إذ يقول (210) :

معاذَ الله أن أسلو ببدرٍ وإن أصبو إلى كأسٍ وخمرٍ
ولا لأراكِ نهَضتِ بعيتٍ ولا لروادفٍ وعظيمِ خنرٍ
ولا تفاحيةً طلعتْ بخُذٍّ ولا رُمانةً نبَّتْ بصنرٍ
وأن ألهو من الدنيا بشيءٍ وأمُّ الفضلِ - يا أسفا - بقبرٍ

إن المتتبع لدائرة رثاء الزوجات في الشعر الأندلسي ، ومدى تأثير الشاعر بالمرأة وإسهامه إياها في شعره ، يجد أن هذا النوع من الشعر قد انتشر بشكل كبير ، وتضخم حجمه ، إلى أن غدا أمراً لافتاً ، وقد يطول بنا المقام لو تتبعنا كل الشعراء الذين رثوا زوجاتهم في هذا العصر .

2 . 4 المرأة الشاعرة

احتلت المرأة في الأندلس مكانة مرموقة ، فكان لها دور مهم في الحياة الأدبية (211) بل لعل حرية المرأة في الأندلس قد زادت بعض الشيء ، فقد روي شعر مليء بألفاظ الأدب المكشوف ، وكان ينشد ويحفظ في المجتمعات (212) .

وقد أسهم هذا التطور والتحرر الذي عاشته المرأة في الأندلس في ظهور عدد من الشاعرات والأديبات الاندلسيات في عصر المرابطين والموحدين ، وقد كان بعضهن يترددن على منتديات الرجال الأدبية ، بل كان لبعضهن منتديات يتردد عليها الرجال والنساء معاً (213) .

ومن هؤلاء الشاعرات ، نزهون الغرناطية (214) ، لقد اختلف في ذكر صفة نزهون فمنهم من وصفها بأنها شاعرة ماجنة كثيرة النوادر (215) ، ومنهم من يصفها بخفة الروح والانطباع الزائد والحلاوة ، وحفظ الشعر ، والمعرفة بضرب الأمثال (216) .

ولشعر نزهون جانبان : جانب مشرق لطيف ، وجانب جريء عنيف ، ومن الأمثلة على جوانب الإشراق واللفظ في حياتها المساجلات الشعرية التي كانت تعقدتها مع الوزير أبي بكر بن سعيد الذي يعد من أشد المعجبين بها ، وقد كتب لها ليطمئن على مكانته عندها ، يقول (217) :

يَا مَنْ أَلْفُ خِلٍّ مِنْ عَاشِقٍ وَصَدِيقٍ
أَرَاكَ خَلَيْتَ لِلنَّاسِ سِ مَنَزَلًا فِي الطَّرِيقِ

فأجابته نزهون مؤكدة المكانة الكبيرة التي يحظى بها في نفسها والحب العظيم الذي تحمله له ، حيث تقول :

حَلَلْتَ أَبَا بَكْرٍ مَحَلًّا مَنَعْتُهُ سِوَاكَ وَهَلْ غَيْرُ الْحَبِيبِ لَهُ صَدْرِي
وَإِنْ كَانَ لِي كَمِ مِنْ حَبِيبٍ فَإِنَّمَا يُعَدُّ أَهْلُ الْحَقِّ حُبًّا أَبِي بَكْرٍ

ومن حسن تصرفها في المعاني وسرعة بديهتها ، نجده واضحاً في الأبيات التي ردت فيها على أحد الثقلاء عندما رآها فأعجبه جمالها فقال لها : ما عليّ من أكل معك خمسمائة سوط ، أي أنه يرحب بكل ألوان العذاب ما دام معها ، لكنه لم يحسن التصرف ، تقول : (218)

وَذِي شَقْوَةٍ لَمَّا رَأَى رَأَى لَهُ تَمَنَّى أَنْ يَصْلِيَ مَعِيَ جَاحِمُ الضَّرْبِ
فَقُلْتُ لَهُ كُلِّهَا هَنِيئًا فَإِنَّمَا خُلِقْتُ إِلَى لِبْسِ الْمَطَارِفِ وَالشَّرْبِ

ومن شعرها المشرق الجميل ما قالت في وصف ليلة من ليالي مبادلها : (219)

لِلَّهِ دُرُّ اللَّيَالِي مَا أَحْسَنُهَا وَمَا أَحْسَنَ مِنْهَا لَيْلَةُ الْأَحَدِ

لَوْ كُنْتُ حَاضِرًا مِنْهَا وَقَدْ غَفَلْتُ عَيْنُ الرَّقِيبِ فَلَمْ تَنْظُرْ إِلَى أَحَدٍ

أَبْصَرْتُ شَمْسَ الضُّحَى فِي سَاعِدِي قَمَرٍ بَلْ رِيَمَ خَازِقَةٍ فِي سَاعِدِي أَسَدٍ

ومن شعرها العنيف ، ما دار بينها وبين الشاعر أبي بكر المخزومي الأعمى في أحد مجالس الأدب عندما قال فيها (220) :

على وجه نزهون من الحسن مسحةً وإن كان قد أمسى من الضوء عارياً
قواصد نزهون توارك غيرها ومن قصد البحر استقل السواقيا
فردت عليه بشعر أكثر بذاءة (221):

إن كان ما قلت حقاً من بعض عهد كريم
فصار ذكرى ذمياً يعزى إلى كل لوم
وصرت أقبح شيء من صورة المخزوم

ويذكر صاحب المغرب أبياتاً أخرى في رد نزهون على الشاعر المخزومي ،
وفيها تقول (222) :

خلقت أعمى ولكن تهيم في كل أعور
جاوبت هجواً بهجواً فقل لعنت من أشعر
إن كنت في الخلق أنثى فإن شعري منكّر

ومن مساجلاتها مع الشاعر ابن قزمان ، أنه عندما اجتمع بها في غرناطة قالت له عقب
ارتجال بديع ، وكان يلبس غفارة صفراء ، أحسنت يا بقرة بني إسرائيل ألا أنك لا تسر
الناظرين ، فقال لها : إن لم أسر الناظرين فأنا أسر السامعين ، وإنما يطلب سرور
الناظرين منك يا فاعله يا صانعه ، حتى تمكن السكر منه فرموه في البركة ، فعندما
خرج قال اسمع يا وزير (223) :

إيه أبا بكر ولا حول لي بدفع أعيان وأنذال
وذات فرج واسع دافق بالماء يحكي حال أذالي
غرقتني في الماء يا سيدي كفره بالتفريق في المال

فلم يغادر بن قزمان من غرناطة حتى أجزل له العطاء والإحسان ، ومدحه بما
هو ثابت له في ديوان أزجاله .

وهكذا استطاعت غرناطة أن تقدم شاعرة وأديبة كبيرة ، شعرها إذا خلا من
الفحش مطبوع ، عذب، بعيد عن التصنع قريب من البديهة والخاطرة .

ومن الأدبيات اللواتي ظهرن في إشبيلية في هذه الفترة ، مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري سكنت إشبيلية ، وأصلها ورد في النفع من شلب⁽²²⁴⁾، وهي أديبة شاعرة مشهورة ، وكانت تعلم النساء الأدب⁽²²⁵⁾، وتحتشم لدينها ، وقد عمّرت طويلاً .

ومن شعرها ما بعثت به إلى المهدي بن تومرت تمدحه ، فبعث إليها عدداً من الدنانير وعدداً آخر من أبيات الشعر قال فيها⁽²²⁶⁾ :

مالي بشكر الذي أوليت من قبل لو أنني حزت نطق اللّسن في الحلل

يا فذة الظّرف في هذا الزمان ويا وحيدة العصر في الاخلاص في العمل

اشبهت مريماً العذراء في ورع وفقت خنساء في الأشعار والمثل

فردت عليه بقصيدة تمدحه لما بعث إليها من ماله ، وخلع عليها من أدبه قائلة⁽²²⁷⁾ :

من ذا يجاريك في قول وفي عمل	وقد بـدـرتُ إلى فضلٍ ولم تُسلِ
مالي بشكر الذي نظمت في عُنقي	من اللّالئ ومـا أوليت من قـبـلِ
حليّتي بخلّى أصبحت زاهية	بها على كل أنثى من حلي عطـلِ
لله أخلاقك الغر التي سقيـتُ	ماء الفرات فرقّت رفة الغـزلِ
أشبهت مروان من غارت بدائعـه	وأنجـدت وغـدت من أحسن المـثـلِ
من كان والده العضب المهند لم	يلد من النسل غير البيض والأسـلِ

ومن شعرها وقد أحست بالكبر والشيخوخة ، فشكت زمانها ، فقالت⁽²²⁸⁾ :

وما يرتجي من بنت سبعين حجة وسبع كنسج العنكبوت المهلهل

تدبّ دبيب الطّفـل تسعى إلى العصا وتمشي بها مشي الأسير المكبل

ومن شاعرات هذا العصر أيضاً أم العلاء بنت يوسف ، وهي من أهل وادي الحجارة⁽²²⁹⁾ ، وقد ذكر ابن سعيد أنها ممن تفخر به بلدها وقبيلتها⁽²³⁰⁾ .

ومن شعرها الغزلي الذي يمثل امتداداً طبيعياً في رقة شعرها ونهجها لحفصة ، التي تعد رائدة شعر الغزل في الأندلس⁽²³¹⁾ ، ومن شعرها قولها⁽²³²⁾ :

كل ما يصدر عنكم حسن وبعلي اياكم يحاكي الزمان

تَعَكَّفِ الْعَيْنَ عَلَى مَنْظَرِكُمْ وَبِذَلِكَ رَاكِمٌ تَلْ ذَ الْأَذْنِ

من يعيش دونكم في عمره فهو في نيل الأمانى يغبن

إن أم العلاء تعد أكثر إستحياءً من غيرها وهي تتغزل ، وهي أهدأ صوتاً عندما تشكو من الحب ، وتعبّر عن هذه الشكوى بصوت رهيف ، ويظهر ذلك في أبياتها التي قالتها مخاطبةً من إنعطف القلب له (233) :

إفهم مطارح أحوالي وما حكمت به الشواهد واعذرنى ولا تلم

ولا تكأني إلى عذر أبيّنه شرّ المعاذير ما يحتاج للكلم

وكلُّ ما جئته من زلة فيما أصبحت في ثقة من ذلك الكرم

ومن شعرها الرقيق الذي لا يخلو من الحكمة وروح الدعابة والتطرف ما كتبه
لرجل أشيب عشقها (234) :

الشَّيْب لَا يَخْدَع فِيهِ الصَّابِي بِحِيلَةٍ فَاسْمَعْ إِلَى نَصِيحِي

فلا تكن أجهل من في الوري بيت في الجهل كما يضحى

وفي هذه الأبيات ترسم لنا صورة جميلة وجذابة لقصب واديها ، فيبدو هذا القصب كالبند يرفرف على خفقات النسيم ، تقول (235) :

لله بســــــــــــــــــــــمـــــــــــــــــــــي إذا يهفون به القصب المندي

فَكَأْنَمَا كَفَّ الرِّيَا حَقْدَ اسْنَدَتْ بَسْنَدًا فَبَدَا

ومن شاعرات هذا العصر أيضاً حفصة بنت الحاج الركوني ، وهي من أهل
غرناطة ، فريدة الزمان في الحسن ⁽²³⁶⁾ ، والحسب ، والمال ⁽²³⁷⁾ ، والظرف ،

والأدب ، واللّوْذعيّة ، كانت أدبية نبيلة ، جيدة البديهة (238) ، وخيمة الشعر ، رقيقة النّظم والنثر (239) ، وحفصة في غرناطة على زمانها مثل ولادة في قرطبة على زمانها ، ألا أن حفصة أشعر ، وفي غزلها أكثر جرأة في الهجوم على معاني العشق والإثارة والغيرة (240) ، وارتبطت بالوزير الشاعر الكاتب أبي جعفر أحمد بن سعيد وزير عبد المؤمن كان يهواها ، ويتغزل بها ، وبسببها قتل ، قتله عثمان بن عبد المؤمن ملك غرناطة الذي كان يشاركه في حبها .

كانت حفصة إلى جانب جمالها ، وأدبها ، وعلمها ، تتمتع بالقدرة على الارتجال في الشعر ، فقد قالت في مدح عبد المؤمن في قصره حين صادفته ، وكانت تعمل مؤدبة لنسائه : (241)

يا سيّد الناس يا من	يؤمّل الناس رفده
أمنن عليّ بطرسٍ	يكون للدهر عدّه (242)
تخطّ يميناك فيه	"الحمد لله وحده"

وقد أشارت في البيت الثالث إلى العلامة السلطانية عند الموحّدين ، الحمد لله وحده .

وكانت حفصة قد نالت شهرة كبيرة في عصرها ، حتّى أن بعض الناس كان يطلب منها أن تكتب لهم على بطاقات خاصة بعضاً من شعرها ، فقد ذكر الوزير أبو بكر ، أن أخته رغبت إلى حفصة أن تكتب لها شيئاً بخطها فكتبت لها (243) :

يا ربّة الحسن بل يا ربّة الكرم	غضّي جفونك عما خطه قلم
تصفحيه بلحظ الودّ منعمة	لا تحفلي بردى والخطّ والكلم
ومن أجمل شعرها ما قالت في الوزير أبي جعفر في ثوب من الاحتشام (244) :	
سلامٌ يفتح عن زهره الكمام	وينطق ورق الغصون
على نازح قد ثوى في الحشا	وإن كان تحرم منه الجفون
فلا تحسبوا البعد ينسيكم	فذلك والله مالا يكون
ومن شعرها أيضاً (245) :	

سلوا البارق الخفاق والليل ساكن	أظل بأحبابي يذكرني وهنا
لعمري لقد أهدى لقلبي خفقة	وأطرني منهلّ عارضه الجفنا

ومن الأديبات الأندلسيات اللواتي عاصرن حفصة أو جئن بعدها بقليل أسماء العامرية ، وهي من أهل اشبيلية ، وقد وصلنا قليل من شعرها ، ومنه هذه الأبيات التي بعثتها إلى عبد المؤمن بن علي ، تذكر بنسبها العامري ، وتطلب من خلال الأبيات دفع الإنزال عن دارها ، والحجز على مالها⁽²⁴⁶⁾ :

عرفنا النصر والفتح المبينا لسيدنا أمير المؤمنين
إذا كان الحديث عن المعالي رأيت حديثكم فينا شجوناً
ومنها أيضاً :

رَوَيْتُمْ عِلْمَهُ فَعَلِمْتُمُوهُ صُنْتُمْ عَهْدَهُ فَعَدَا مَصُونَا

ومن الشاعرات الأديبات في هذا العصر أم الهناء بنت القاضي أبي محمد بن عبد الحق بن عطية ، من أهل قرطبة ، وهي سريعة التمثل ، حاضرة النادرة ، من أهل العلم والفهم ، والعقل ، ومما يدل على ذلك انه عندما ولي أبوها القضاء دخل داره وعيناه تذرفان الدمع على فراق قرطبة فقالت⁽²⁴⁷⁾ :

يا عين صارَ الدَّمْعُ عندكِ عادةً تَبْكِينَ في فَرَحٍ وفي أَحْزَانٍ

ومن شعرها في الغزل الرقيق الذي يحمل حياء العذارى ، وبراعة الغرائز ، قولها: ⁽²⁴⁸⁾

جَاءَ الْكِتَابُ مِنَ الْحَبِيبِ : بَأْنُهُ سِيزورني فَاسْتَعْبَرْتُ أَجْفَانِي
غَلَبَ السُّرُورُ عَلَيَّ حَتَّى أَنَّهُ مِنْ عَظْمِ فَرَطٍ مَسْرَّتِي أَبْكَانِي

ومنهن أيضاً الشاعرة الشليبية ، التي لم يقف ابن الأبار على اسمها ، واكتفى بذكر نسبها إلى مدينتها شلب ، وكانت قد كتبت إلى السلطان يعقوب المنصور تتظلم من ولاية بلدها ، وصاحب خراجها ⁽²⁴⁹⁾ .

وحينما وصلت الأبيات إلى المنصور تصفحها وتابع القضية بنفسه ، ورفع الظلم عن المدينة ، وأمر للشاعرة بصلة .

الفصل الثالث

الشعر والحياة اليومية

3 . 1 الاخوانيات

لقد شمل هذا الشعر موضوعات اخوانية شتى ، مثل المفاكهة ، والاستهداء ، والتهنئة بمولود جديد ، والتهنئة بالشفاء من مرض ... فقد كتب الشاعر ابن سهل الأندلسي إلى الوزير أبي علي بن خلاص بأبيات معبراً عن إشفاقه عليه ومهنئاً له بالشفاء من المرض ؛ يقول (250) :

ظل الزمان محيراً لشكاية فلو انه عين اذن لم تطرف
عجباً من الايام تسقمه وما زالت به من كل سقم تشتفي
ما نالت الآلام منه سوى الذي نال الصقال من الحسام المرفف
كما كتب الأعمى التطيلي أبياتاً يهنئ فيها صديقاً له بإبلائه من مرضه معبراً
فيها عن ابتهاجه بشفائه ، ومنوهاً بأخلاقه وصفاته وشجاعته ؛ يقول (251) :

لا تسترب من ذا النحول فانه صدأً أصاب الصارم المصقولا
فالبرد يكسف في علو مكانه والوعك يدخل للهزبر الفيلا
كما تبادل الشعراء في اخوانياتهم بالمناسبات الاجتماعية ، ومن هذه المناسبات المهمة عند أهل الأندلس التهنئة بالمولود ، فكان الشعراء يقدمون على التهاني في هذه المناسبة ، فكتب ابن الأبار مهنئاً أبا المطرف بن عميرة بإزدياد ولد ؛ يقول (252) :

مرحباً مرحباً بأسنى وليد زيد من آل خالد بن الوليد
كما رفع أبو بكر احمد الأبيض إلى أحد أصدقائه أبياتاً مهنئاً بها بمولود معبراً
عن فرحه وسروره بهذه المناسبة السعيدة ؛ يقول :

يهنئك الفارس الميمون طائره لله أنت فقد أذكيت قيساً
أصاغت الخيل أذانا بصرخته واهتز كل هزبر عندما عطسا
تعشق الدرع مذّ شدت لفائفه وأبغض المهد لمّا أبصر الفرسا
تعلم الركض أيام المخاض به فما امتطى الخيل إلا وهو قد فرسا
وتكون الفرصة مضاعفة عند الوالد عندما يرزق بتوأمين ، فقد كتب ابن الأبار إلى أحد أصدقائه مهنئاً له بمناسبة ولادة توأمين معبراً عن فرحه ومشاركاً صديقه هذه المناسبة الاجتماعية السعيدة ؛ يقول :

طلعت بأسعد حالة ومآب
في أطر الحساب والأنساب
أبدى شهاباً منهما بشهاب
من منتدك لمفضل وهّاب

هنئت يا بدر الكمال أهلة
اثنان ثم ابنان منك تفرعا
وهلال هذا الشهر ثالثها الذي
لا زالت الأيام واهبة المنى

كما يقدم المهنئون المولود بصورة الكواكب والنجوم مع فرق بين الطفل والنجم ،
والنجم يغرب والطفل يبقى منيراً دائماً لا يغرب . كما يصف الشاعر المولود بحسن
خلقه وكرمه وشجاعته فيحلو ذكره ويستعذبه اللسان . كما أن المولود يغيّر حال والده
من حال الشيب إلى حال الشباب ، بسبب فرحه وسعادته بمولوده ، فيعود شاباً ، وفي
هذا ؛ يقول الرصافي البلنسي (253) :

وسما مجد زيد فيها كوكب
كالنجم إلا انه لا يغرب
كرم المراضع والنجار الطيب
وتأهب النادي له والموكب
شبل وفي والمعنى هزبر أغلب
يزهى بعزته الزمان ويعجب
عسل وماء لفظها المستعذب
مما تحاوله الكرام وتطلب

سراء شبّ بها الزمان الاشيب
وعلوّ منزلة تشاء بأزهر
بأبي له خلق الوليد إذا هفا
ولدت بمولده المكارم والندى
بشراك بالطفل الذي هو عندنا
فا هنأ به من طالع ذي أسعد
يحلو على طرف اللسان كأنما
بلغت بك الأيام قاصية المنى

ومن نماذج الحنين إلى الأصدقاء ، ما كتبه ابن خفاجة إلى الفقيه الفاضل أبي
بكر بن مفوّز ، يحن إليه ويتشوقه، ويصور ألم الوحدة ، وشدة الحنين إليه ؛ يقول (254):

كرم الاخاء فإنني أتشوق
ويشوقني فيك الحمام الأورق
أو طاف زور من خيالك يطرق
في كل جانحة جناحاً تخفق
شوقاً اليك وعبرة تترقرق
اني اليه كيف كان لشيق
تندى وذكرك نعمة تنتشق

ولئن سلوت وما أخالك ناسياً
ويهيجني نفس النسيم إذا سرى
فإذا تطلع من سمائك بـأرق
خفقت لذكرك أضلعي فكأن لي
وتملكنتي لوعة مشبوبـة
فابعث بطيفك باغتاً او واعدة
وصل التحية انّ عهدك زهرة

ويعد العتاب بين الأصدقاء موضوعاً مهماً ، فقد كثر هذا النوع من الشعر عند الشعراء في عهد المرابطين والموحدين ، ومنه قصيدة كتبها ابن خفاجة في معاتبة صاحب (القلائد) الفتح بن خاقان ، حينما أتى في وصفه أيام فتوته بتدبير وتمليح ؛ فكتب معاتباً إياه يقول (255) :

خذها يرن بها الجواد صهيلاً	وتسيل ماءً في الحسام صقيلاً
حملتها شوقاً إليك تحية	حملتها عتياً عليك تقيلاً
من كل بيت لو تدفق طبعه	ماء لغص به القضاء مسيلاً
ما للصديق روقيت تأكل لحمه	حياً وتجعل عرضه منديلاً

كان بعض الشعراء يرسلون هداياهم إلى أصدقائهم مرفقة ببعض الأشعار ، وقد انتشر هذا النوع من الشعر بين الأصدقاء في عهد المرابطين والموحدين بشكل لافت للأنظار ، فقد كتب الوزير أبو محمد بن عبدون ، ت (529هـ) مع خمر وورد أهداهما له المتوكل ؛ يقول (256) :

إليك فاجتليتها منيرة	وقد خبا حتى الشهاب الثاقب
واقفة بالباب لم يأذن لها	الا وقد كاد ينام الحاجب
فبعضها من المخاف جامد	وبعضها من الحياء ذائب

وتوسع الشعراء في عهد المرابطين والموحدين في أشعارهم الإخوانية حتى إنهم تعرضوا إلى الفكاهة والمداعبة والتندر في المراسلات التي كانت تدور بينهم ، وكانت هذه الأشعار تتم عن الأحداث المطرفة في أغلبها ، وفي هذا يقول ابن جهورة (257) مداعباً الشاعر مرج الكحل عندما مرّ بأرض حمراء له غير صالحة للعمارة (258) :

يا مرج كحل ومن هذي المروج له	ما كان أحوج هذي الأرض للكحل
ما حمرة الأرض عن طيب وعن كرم	فلا تكن طمعاً في رزقها العجل
لكن شيمتها أخلاق صاحبها	فما تفارقها كيفية الخجل

فأجابه مرج الكحل قائلاً (259) :

يا قائلاً إذ رأى مرجي وحمرة	ما كان أحوج هذي الأرض للكحل
تلك الدماء التي للروم قد سفكت	في الفتح بيض ظبا أجدادي الأول
أحببتها إذ حكمت من قد كلفت به	في حمرة الحسد أو أخلاقه املي

ومن شعر المداعبة والمفاكحة الذي ينمّ عن روح الفكاهة والدعابة التي كانت منتشرة بين الشعراء ، ما كتبه ابن خفاجة مداعباً صديقاً له من الشعراء يهنئه بنعجة سوداء كان قد تغزل فيها ؛ يقول (260) :

وسوداء تدمي به منحــــرا	كما اعترض الليل تحت الشفق
ستخلع من فروها ضحوة	سواد الدجى عن بياض الفلق
فيا حسن خصر لها أحمر	ومئزر شحم عليه يقــــق
وما فلت في قميص الدجى	ولا اشتملت برداء الغسق
ولكن تسيل عليها القلوب	هوى وتذوب عليها الحـدق

ويتبين مما سبق أن الشعراء في عهد المرابطين والموحدين كانوا قد اتخذوا من أشعارهم الإخوانية نوعاً من التعبير عما يدور في مشاعرهم اتجاه أصدقائهم ، فقد كانت هذه الأشعار والمراسلات بمثابة بطاقات التهنة التي يتبادلها الأصدقاء في الوقت الحالي . كما حثت قيم الدين الإسلامي الحنيف المسلمين على مواساة المرضى وزيارتهم والدعاء لهم بالشفاء مما أصيبوا به من مرض وسقم ، عملاً بالمثل والأخلاق العربية ، عمل أهل الأندلس على ممارسة هذا السلوك الاجتماعي في زيارة المريض ومواساته لمعرفة بأن زيارة المريض سعادة له ، وإحسان يثاب عليه المسلم ، كما تؤدي عيادة المريض إلى تثبيت أركان المجتمع المسلم لما يشعر به المريض من مشاركة إخوانه وأصدقائه في محنته ، وليس أمامهم إلا الدعاء له بالشفاء العاجل وتبعث الزيارة في نفس المريض أملاً في انفراج الخطوب والنوائب والبرء والشفاء من المرض ، لأنه يرى فيما يزوره قلباً مؤمناً صادقاً ومشاركاً له في مأساته 0 ومما يدل على ذلك قول ابن خفاجة الأندلسي (261) :

ان الليالي لا دَهْـنَكَ لعابثــــه	فوقيت فيك يد الزمان العائثـه
وسلمت من خل يعود على النوى	كرماً فتتفرج الخطوب الكارثـه
فأرى به للقلب قلباً ثانيــــاً	عزاً وللعينين عيناً ثالثــــه

وهكذا ومن خلال دراسة الشعر في الأندلس ، نلاحظ أن عيادة المريض غدت سلوكاً اجتماعياً محبباً الى النفوس ، لما تحمله من معاني المودة والتراحم والتزاور بين

أبناء المجتمع الواحد ، وظلت نوعاً من أنواع الانسجام بين الناس ، فبالتالي يسود التعاون بينهم ، فينتج عنه بناء مجتمع مؤمن قوي .

3 . 2 تهنئة ولي الأمر

كما كانت التهنة تقدم للأصدقاء والأهل في عهد المرابطين والموحدين ، أخذت أيضاً جانباً آخر وهو تقديم هذه التهاني إلى الخليفة أو الأمير ، أو والي الأمر ، وكانت تدور معظم هذه التهاني في جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية ؛ مثل تقديم التهاني في الأعياد ، والانتصارات على الأعداء .

لقد كان للنصر عند أهل الأندلس الأثر العظيم والمحبب للنفس ؛ لما له من أهمية كبيرة لما رأوه من ضروب العدوان ، وما لحق بمدنهم من تخريب وتهديم ، وتشريد لأهلها ، وخاصة القرية منها إلى بلاد العدو .

لذلك كانت فرحتهم عظيمة عندما يحققون الانتصار على أعدائهم ، فيخرج الناس إلى الشوارع لاستقبال الخليفة أو الأمير والجيش ، وتقام الاحتفالات الكبيرة بمناسبة النصر ، ويتقدم الشعراء والأدباء للخليفة بقصائد التهنة لما حققه من نصر عظيم على أعداء الإسلام ، فكتب الشاعر علي بن حزمون قصيدة مهنئاً بها الخليفة أبا يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بعد انتصاره على الادفنش في معركة (الأرك) سنة 591هـ ؛ إذ يقول (262) :

هَيْتَكَ مَعْطَرَةَ النَّفْسِ	نَفَحَاتِ الْفَتْحِ بِأَنْدَلُسِ
فَذَرِ الْكُفَّارَ وَمَأْتِمَهُم	إِنَّ الْإِسْلَامَ لَفِي عَرَسِ
أَمَامَ الْحَقِّ وَنَاصِرِهِ	طَهَرْتَ الْأَرْضَ مِنَ الدَّنَسِ
وَمَلَأْتَ قُلُوبَ النَّاسِ هُدًى	فَدَنَا التَّوْفِيقَ لِمَلْتَمَسِ

وعندما عاد السلطان أمير المؤمنين يعقوب المنصور من أفريقيا سنة (603هـ) وقد تم على يديه فتح (المهدية) ، اجتمع عدد من الشعراء والكتاب وتذكروا هذا الفتح وعظمته أنشد الشاعر مرج الكحل أبياتاً يشيد بها بالفتح والخليفة ؛ يقول (263) :

ولما توالى الفتح من كل جهة	ولم تبلغ الأوهام في الوصف حده
تركنا أمير المؤمنين لشكره	بما أودع السرّ الإلهي عنده

فلا نعمة الا تؤدي حقوقها علامته " بالحمد لله وحده " كما وأنشد العديد من الشعراء قصائد في تمجيد هذا الفتح وعظمته والإشادة بالخليفة ، فكتب الشاعر ابن نوح الغافقي⁽²⁶⁴⁾ ، مهنئاً بهذا الفتح ؛ يقول⁽²⁶⁵⁾ :

قد أنزل العسر من اعلى ذوائبها من كان معتقداً في برجها الاسدا
حيث الثواة لقد ضلت حلومهم على مجانيق توحى العقل والجلدا
كأنما الارض كانت قبل واحدة حقداً على والمفات السحب او حردا
فأمطرتهم أحجار العذاب بما كانت قديماً عليها أمطرت بردا
وتشير بعض الأشعار إلى استخدام أنواع متعددة من السلاح الذي كان يستخدم في تلك المعارك ، ومن هذه الأسلحة كما ورد في الأشعار آلة المنجنيق .

وفي وقعة (قفصة) سنة (576هـ) كان لهذا النصر مكانة المعارك والانتصارات الكبرى في الإسلام ، وما لها من أثر في تثبيت أركان الإيمان وإحيائه من جديد في نفوس الناس ؛ وفي هذا يقول ابن أبي قوة ت(608هـ) :

المجد يشهد والبسالة والندى والحلم انك للامام سليل
أحييتم الإيمان بعد مماته وشفيتم الإسلام وهو عليل
لولا بيانكم ونور هداكم لم يعرف التحريم والتحليل⁽²⁶⁶⁾

وسجل الشعر في عهد المرابطين والموحدين معظم تلك الانتصارات الخالدة التي كان لها دور فعال وأساسي في تثبيت أركان الدولة الإسلامية في الأندلس وترهيب الأعداء من قوة المسلمين المتزايدة ، كما أشاد بالقادة وحثهم على فتح المزيد من البلاد وضمها إلى ديار الإسلام ، ورفع راية الإسلام عالية خفاقة .

وكان من عادة أهل الأندلس الاحتفال بعيد الفطر والأضحى ، وإظهارهما ، والتبجيل والتعظيم لقDOMهما . وكان من تمام مراسيم هذه الاحتفالات ان يعمد الخليفة او الأمير للتهنئة في هذه المناسبة الكريمة ، ويسعى الناس إليه بالتبريكات وطيب الأمنيات ؛ وفي هذا يقول الشاعر محمد بن إبراهيم بن المنخل الشلبي مهنئاً الخليفة أبا يعقوب في العيد⁽²⁶⁷⁾ :

واليكم وفد العبيد تسوقهم همّ شفيتم هيمها وهيامها
يتقدمون محبة ونفوسهم ممن تعوق عن الجفون منامها

وتملؤ الأزمان أعياداً كما
وتقبلوا قصد العبيد فقصدكم
وتكفل الرحمن نصرة مليكم
حليتكم بسنائكم أيامها
عمل يطابق هديها وطاقمها
وأمدّ مدة عمركم وادامها

كما يتخذ الأندلسيون من العيد مناسبة لتهنئة الخليفة أو الأمير ، فإذا اطل أول أيام العيد قدم الناس وفيهم الشعراء والخطباء على الخليفة مهنيين ومباركين له عيده . كما لا يوجد فرق عند المرابطين والموحدين بين عيد الفطر والأضحى في الاحتفال في كل منهما ، حيث لكل منهما فرحة خاصة ؛ يقول ابن الأبار (268) :

دامت لنا الايام اعياداً به
وتهاه في اجيادنا أطواق
والفطر مثل النحر في أعدائه
مما يسال نجيعها ويراق

ويعتبر تولي المنصب في عهد المرابطين والموحدين من المناسبات الاجتماعية التي سعى فيها المهنئون لتقديم أجل التهاني ، معددين صفات الأمير أو الخليفة التي يجب ان يتمتع بها الخليفة أو الأمير ، لما لها من دور فعال في البقاء على قوة المملكة منيعة وحصينة ضد الأعداء ، فقوة البلد من قوة الأمير أو الخليفة ، كما ان الأندلس دائماً بحاجة إلى الخليفة أو الأمير القوي لما يحيط بهذه البلاد من الأعداء .

قال ابن سارة الإشبيلي مهناً ومادحاً للأمير أبا يحيى بن إبراهيم وقد قدم والياً (269) :

اليوم أخدمت الضلالة نارها
واستقبلت حدق الورى غرناطة
وكأن نشر نباتها نيسان إذ
في غيب سارية ترقرت أدمعا
فاسترجعت دار الهدى عمّارها
وهي الحديقة فوفت ازهارها
يكسو رباها وردها وبهارها
يحكى الجمان صغارها وكبارها
وقد هنا الشاعر ابن الأبار الخليفة بمناسبة براءه من المرض والبيعة له بالخلافة وفيهما ؛ يقول (270) :

ان البشائر كلها جمعت
في نعمتين جسيمتين هما
للدن والدنيا وللأمم
برء الإمام وبيعة الحرم

كما يعتبر الاعتذار موضوعاً مهماً من المواضيع التي تعرض لها الشعر الاجتماعي في عهد المرابطين والموحدين ، وكان أغلب الاعتذار يدور حول التأخر عن المكاتبة بين الأصدقاء ، أو اتجاه والي الأمر ، أو الاعتذار عن القدوم مع وفد رسمي .

فقد سجل الشعر معظم هذه المواضيع في قصائد خاصة ، ومنها قصيدة كتبها الشاعر أبو عبد الله بن أبي الخصال يعتذر فيها عن المكاتبة ؛ يقول (271) :

ألم تعلموا والقلب رهن لديكم	يخبركم عني بمضمره بعدي
ولو قبلتني الحادثات مكانكم	لأنهت بها فكري وأوطأتها خدي
ألم تعلموا أنني وأهلي وواحد	فداءً ولا أرضى بتغدية وحدي

وهذا أيضاً الشاعر ابن شلبون (272) يمدح ويعتذر عن قدومه مع وفد بلنسية سنة (622هـ) إلى إشبيلية ؛ يقول (273) :

حنانيك قد ثبنا إليك وقد ثبنا	فجدد لنا الرحمن وأكد لنا الامنا
هو القدر الجاري على الناس حكمه	فلا غرو ان جاءوا سراعاً وأبطأنا
إذا لم تكن بالمرتجين عناية	سماوية عادت عيادتهم أفنا
فلكننا تصرفنا تصاريف نجتني	بها مدةً ربها اونةً غبنا
وأما وإغضاء الخليفة شامل	فبشرى بما نلنا به الخير والامنا

3.3 التعازي

من المناسبات الاجتماعية عند أهل الأندلس التعازي بالوفاة ، وحين حصولها فإن أهل المتوفى وأصدقائه وجيرانه يشيعونه بعد أداء الصلاة عليه في المسجد إلى المقبرة من اجل الدفن بمراسيم بسيطة . وهي لا تختلف عن مراسيم الدفن عند أهل الشرق . وغالباً ما كان أهل المتوفى يضعون شاهداً رخامياً على القبر ، يكتب عليه اسم المتوفى ، وتاريخ الوفاة ، وآيات قرآنية كريمة ، وكان بعضهم يعد أبياتاً شعرية لتكتب على شاهد قبره وهو على قيد الحياة (274) .

وحين يفقد الأندلسي عزيزاً عليه ، فإن روح المواساة والمشاركة في مراسيم الدفن ، وتقبل العزاء ، تتجلى عند الأهل والأصدقاء ، فيعبرون في أصدق عواطفهم ومشاعرهم عن الحزن والألم الذي ألم بهم ، ويتوجهون للتعزية بكلمات تخفف هول هذه المصيبة عن أهل المتوفى .

وفي مثل هذه المناسبة يكون التذكير بالصبر على المصيبة ، والرضى بالقضاء فلا مردّ لقضاء الله عز وجل ، فتكون أعظم الأثر في التخفيف من حزنه وكربه ،

فالشخص لا يحتاج في مثل هذه المواقف سوى التشجيع والتصبر على هذه الكربة التي حلت به .

يقول محمد بن السيّد البطليوسي ، يعزي الوزير أبا عيسى بن ليون في أخيه :
للمرء في أيامه عبـر
والصفو يحدث بعده الكدر
خرس الزمان لمن تأملـه
نطق ، وخبر صروفه خبر
كم قال : هبوا طالما هجعت
منكم عيون حقها السهر
أبأذن من هو مبصري صمم
أم قلب من هو سامعي حجر
لولا عماكم عن هوى نُذري
ومواعظي ما جاءت النذر
هذه مصارع معشر هلكوا
ووعظتكم بالصمت فاعتبروا⁽²⁷⁵⁾

وأمام وقوع الملمة بفقد الأحبة ، والخلان يكون العزاء الوحيد للفرد الأندلسي التوجه إلى الله سبحانه وتعالى ، الذي قدر كل شيء فلا راد لقضائه ، ولا مبدل لكلمته فكم من كربة فرجها الله سبحانه ، أو ليس هو مؤنس يعقوب برد يوسف إليه، ومنقذ يونس من بطن الحوت ؛ قال ابن خفاجة⁽²⁷⁶⁾ :

أفي كل يوم رجفة لملمة
بفقد خليل يملأ العين مؤنس
أبيت له تتدى جفوني لوعـة
كما دمعت تحت الحيا عين نرجس
وحسبي إذا ما أوحشتني كربة
بمؤنس يعقوب ومنقذ يونس
وكانت المواساة والتعزية في عهد المرابطين و الموحدين تأخذ طابعاً أخوياً حميماً بين ذوي القربى ، ويكون وقع المصاب على الأسرة الأندلسية أليماً ومرّاً ، لكن الصبر في الشدائد والملمات والنوازل تلوذ به ، فليس للصبر على الخطوب إلا الثواب والأجر .
كما ان اغلب الشعر الاجتماعي الذي قيل في هذه المناسبات الاجتماعية يميل إلى دعوة أهل الفقيد إلى الصبر والإيمان بقضاء الله وقدره ، وبذل الشجاعة في تحمل هذه المصيبة والكربة التي حلت بهم .

قال ابن الأبار يرثي أم الخطيب أبي عبدالله بن قاسم ، ويعزي ابنها⁽²⁷⁷⁾ :
وحسن عزاء في الأسى وتماسك
سوى عبرة لم تعد عادة راحم
ومن كأبي عبدالله بن قاسم
لصبر وتقويض لدى كل قاصم
وحسبك من هادٍ إلى الخير هديه
ومن ناجح مسعاه في كل ناجم

لك الخير خذها مفضياً عن قصورها قوافي أعيا وصفها كل ناظم
بعثت بها أبقي رضاك مساهماً ومثلك من أرضاه سعي المساهم
وهكذا كانت تأخذ التعازي في عهد المرابطين والموحدين ، من مشاركة الأهل ،
والأصدقاء ، ومحاولة التخفيف عنه هذه الكربة ، كما وأن المجتمع الأندلسي مجتمع
متربط من جميع جوانبه ، وهو لا يختلف عن المجتمع الإسلامي في الشرق كثيراً .

3 . 4 النقد الاجتماعي :

يلاحظ ان شعر النقد الاجتماعي قد قلّ على نحو ملحوظ في عصر المرابطين
والموحدين ، ولعل السبب يعود إلى تجنب الشعراء مثل هذا اللون الغاضب الساخط ؛
خوفاً من السلطة أو حرصاً على مصالحهم الشخصية، فقد أوصى والد ابن سعيد ابنه
مؤلف (القدح) ان يكون على حذر من هجاء الحكام والسلطين ؛ لأنهم كالنار المحرقة
لا ينجو من اکتوى بها⁽²⁷⁸⁾ .

يعد شعر الهجاء الاجتماعي مقطوعات في معظمه ، تنظم بأسلوب بسيط واضح
ليسهل فهمه من قبل الآخرين ، وتكون هذه المقطوعات بأسلوب لاذع يميل إلى تضخيم
الأشياء ؛ ليثير الضحك ، ومنه أبيات نزهون الكلاعي في شخص قبيح الصورة عرض
لخطبتها⁽²⁷⁹⁾ .

وعلى الرغم من قلة الأشعار التي يمكن ان تدرج تحت هذا اللون من الشعر الا
أنه يظهر في عصر المرابطين والموحدين عدد من الشعراء الذين انتقدوا بعض مظاهر
الفساد أو ما كانوا يعتقدون أنه كذلك .

ومن هؤلاء الشعراء الذين اشتهروا آنذاك كما يذكر ابن سعيد ، ثلاثة هجائين هم :
المخزومي⁽²⁸⁰⁾ ، واليكي⁽²⁸¹⁾ ، والأبيض⁽²⁸²⁾ ، ويمكن ان يضاف إليهم نزهون
الكلاعي وابن سارة الشنتريني ، وعلي بن حزمون وابن قزمان .

وعلى الرغم من قلة الشعراء الذي يمكن إدراجهم تحت باب النقد الاجتماعي ،
الا أنهم صوروا بأسلوب انتقادي مظاهر الفساد الاجتماعي الذي انتشر في عهد
المرابطين والموحدين ، وما كان يتمناه الرعية من العدل والمساواة ، كما رسموا تلك
المفاسد بطريقة ساخرة معبرين عن أحوال الشعب ومعاناته .

فقد قال الأعمى التطيلي قصيدة حثَّ فيها أهل إشبيلية على التمرد والثورة على الظالمين والفاستدين والمتعسفين من الحكام ؛ بسبب الفساد الذي كانت تعاني منه تلك المدينة ، ومنها (283) :

إلى الله أشكو الذي نحن فيه	أسى لا ينهه منه الأسى
فشأ الظلم وأغتر أشياءه	ولا مستغاث ولا مشتكى
وسار الطغام بتمويههم	وهل يفدح الرزء الا كذا ؟
وذا اليوم حملنا فادحاً	خضعنا له و انتظرنا غدا
ونفضي على حكم صرف الزمان	وبين الجوانح جمر الفضأ
ايا أهل حمصٍ وقدماً دعوت	وهل تسمعون إلى من دعا
يقل لأقداركم كل شيء	فكيف رضيتم بدون الرضا؟

ومن الشعراء الذين تحدوا السلطة وثاروا على الظلم والفساد في عهد المرابطين والموحدين الشاعر الأبيض ، فقد كان هجاءً مقذعاً ، سلط شواظ غضبه وهجوه على أمير قرطبة (الزبير المرابطي) ، وله فيه مقطوعات كثيرة شاعت بين الناس وتناقلوها حتى سمعها " فأمر بإحضاره فقرعه ، وقال : ما دعاك إلى هذا ؟ فقال : اني لم أرَ أحق بالهجو منك ، ولو علمت ما انت عليه من المخازي لهجوت نفسك انصافاً ، ولم تكلها إلى أحد ، فلما سمع الزبير ذلك قامت قيامته وأمر بقتله" (284) .

ومما قاله فيه مقطوعة سخر فيها منه سخرية لازعة مشككاً في تظاهره بالعبادة ، رامياً إياه بالفسق والفجور (285) :

عكف الزبير على الضلالة جاهاً	ووزيره المشهود كلب النار
ما زال يأخذ سجدةً في سجدةٍ	بين الكؤوس ونغمة الاوتار
فإذا اعتراه السهو سبَّح خلفه	صوت القيان ورنه المزمار
ويجنح في هجائه له إلى الاقذاع ، كما في قوله (286) :	

قالوا الزبير تبرص فأجبتهم	لا تتكروه ، فداؤه من عنده
وضعت مباعره ... فأكثرت	حتى بدا رشح ... بجلده
وهكذا كلفت الأبيض جرأته ، وحدة لسانه الثمن غالباً ، فقد قتله أمير قرطبة الزبير بسبب هجائه .	

ويعد الشاعر ابن خفاجة من الشعراء الذين ثاروا ضد الظلم والتسلط على رقاب الناس ، فهو يرجع كل مفسد المجتمع إلى فساد الرأس المدبر ، وتسوس الأصل ، وجور الملك المتربع على العرش ؛ إذ يقول (287) :

لعمري لو اوضعت في منهج التقى لكان لنا في كل صالحة نهج
فما يستقيم الامر والملك جائراً وهل يستقيم الظل والعود معوج
ووجه الشاعر اليكسي سهام هجائه إلى الملتئمين كلهم ولم يستثن منهم أحداً واصفاً
إياهم بالدناءة والهوان ، قاذفاً اعراضهم مشككاً في صحة نسبهم ، وذلك إذ يقول (288) :

في كل من ربط اللثام دناءة ولو انه يعلو على كبروان
ما الفخر عندهم سوى ان ينقلوا من بطن زانية لظهر حصان
المنتمون لحميمٍ لكنهم وضعوا القرون مواضع التيجان
لا تطلبين مرابطاً ذا عفة واطلب شعاع النار في الغدران
ومن الشعراء المعارضين في عهد المرابطين والموحدين الشاعر أبو عبدالله محمد ابن الصفاء القرطبي ، الذي سجل موقفاً سياسياً صلباً اتجاه أبي العلاء المستنصر الموحدي المنادي بإمارة المؤمنين في مراكش ، فأباح أبو العلاء دمه . ومن شعره فيه وفي مدح ابن اخيه يحيى بن الناصر الذي نازعه رداء السلطان ؛ يقول (289) :

وان ينازعك في المنصور ذو نسب فنجل نوح ثوى في قسمة العطب
وان يقل أنا عم فالجواب له : عم النبي - بلا شك - أبو لهب
ويظهر من خلال هذه الأبيات مناصرة الشاعر ليحيى ضد عمه المستنصر ، كما يقال إن مناصرته ، ومعارضته ليست من أجل خدمة بلده الأندلس فهي تخلو من روح الوطنية ، ولكن موقف الشاعر من ممدوحه موقف شريف ونبييل ، فهو يعتقد الحق والخير بوجوده ، ومن حقه ان يدافع عن هذا الاعتقاد .

كما انتقد الشعراء رجال الدين من قضاة ، وفقهاء ، ملصقين بهم الفساد الذي ينتقل إلى أجهزة الدولة ، وربما يكون جزء من هذا الهجاء والنقد الموجه إلى الفقهاء والقضاة بدافع المنافسة والغيرة والحسد ، ولكنه في اغلبه يحمل تلك الروح الثائرة المنتقمة من المتسلطين والمستغلين .

وقد كانت معظم معاني النقد الموجه إلى القضاة والفقهاء تتركز حول الرشوة ،
والرياء ، والجهل وإحلال المحرمات ، واستغلال الدين للمنافع الشخصية ، وفي هذا
يوجه الشاعر ابن الأبيض نقده إلى القضاة ؛ يقول (290) :

أهل الرياء لبستم ناموسكم كالذئب يدلج في الظلام القاتم
فملكتم الدنيا بمذهب مالِك وقسمتم الاموال بابين القاسم
وركبتم شهب البغال بأشهب وبأصبغ صبغت لكم في العالم
كما يصفهم الشاعر ابن الزقاق بالرياء والرشوة والجور (291) ؛ حيث يقول :

قاضي يجور على الضعيف وربما لقي القوي بمثل حلم الاحنف
لعبت بطلعته الرشا لعب الرشا بفؤاد خفاق الجوانح مدنف
ووجه الشاعر الأبيض نقداً لاذعاً إلى قاضي قرطبة يصفه فيه بالجهل والبخل ؛
وفي هذا يقول :

يريد ابن حمدين ان يقتفى وجدواه أنأى من الكوكب
إذا ذكر الجود حك أستسه ليثبت دعواه في تغلب (292)

وسخر الشاعر أبو بكر بن مغاور من الملتحين المتسترين بالدين ، فهم يقبلون
الرشوة ويشهدون بالزور من أجل مصالحهم الخاصة ، كما يصفهم الشاعر بأنهم إخوان
الشياطين ؛ يقول (293) :

انا إلى الله ماذا حل بالدينين من الطوال اللحي البيض الثعابين
باعوا رضى الله وابتاعوا بساخطة وغيروا الشرع بالله للدينين
أضحت شهادتهم بالزور ناطقة ان الشهود لأعوان الشياطين
وتعرض الشاعر المخزومي بالهجاء لعبد الملك بن سعيد جدّ صاحب المغرب
وسمه فيه بالبخل على كثرة إحسانه إليه وإكرامه إياه (294) :

لا ترجون بني سعيد اللندی فالظل أفيد منهم للسائل
فلقد مررت على منازلهم فما أبصرت منها غير بعد منازل
قوم مصيبتهم بطلعة وافد وسرورهم ابدأ بخيبة راحل
وهجا الشعراء الكتاب ، بصور قاسية ولاذعة جداً ، كما يقول ابن سارة
الشنتريني في أحد الكتاب :

وأغر ينتحل الكتابة خطــــة متوقد كالحية النضناض
عشق السواد فأصبحت أسنانه تشري السواد ببيع كل بياض
فاذا شحا فاه رأيت خفافــــساً يأوين من فيه إلى مرحاض (295)
ويعرض بعض الشعراء لهجاء مدينة بكاملها ، فيلعن أهلها فليس فيهم إلا الشر
والأذى ، يقول المخزومي في أهل مرسية (296) :

على أهل مرسية لعنة تعم الديار وأربابها
فما غلقت قط مذ فتحت على فاضل الطبع ابوابها
كلاب تهر إلى شاعر وتكشف للشر انيابها

وبلغت ذروة الهجاء عند بعض الشعراء في عهد المرابطين والموحدين إلى
التعرض لهجاء نفسه ، كما فعل الشاعر علي بن حزمون الذي وصفه ابن سعيد في
كتابه (المغرب) بأنه (صاعقة من صواعق الهجاء) (297) ، وعلى الرغم من ذلك لم نعثر
له إلا على قصيدة واحدة بدأها بهجاء نفسه ، ولعلها كشف عن إحساسه بالضالة
والهوان ، وفيها ؛ يقول (298) :

تأملت في المرأة وجهي فخلتـــه كوجه عجوز قد أشارت إلى اللهو
إذا شئت ان تهجو تأمل خليقتي فإن بها ما قد أردت من الهجو
كأن على الإزراء مني عورة تنادي الورى غضوا ولا تنظروا نحوي
فلو كنت مما تنبت الارض لم اكن من الرائق الباهي ولا الطيب الحلو
وأقبح من مرآي بطني فإنــــه يقرقر مثل الرعد في مهمه جو
وتعرض الشعراء بعضهم لبعض بالنقد ، فمرج الكحل متهم عند الشاعر أبي
حريز بالشؤم والالتهام بالزندقة والكفر ؛ يقول فيه أبو حريز :

تبت يدا مرج الكحول فأنــــه أفنى الأنام بشعره المشؤوم
قد أهلك الإسلام شؤم مديحه هلاً أشار بمدحه للروم (299)

وهجاه مرج الكحل ووصفه بالوضاعة لخسة في النسب ؛ يقول فيه (300) :
أيا ناقصاً يدعي انــــه كريم الجدود شريف السلف
الاجئ لنا بأب واحــــد وضع نحن تحط الشرف

ومن أقذع الهجاء عند مرج الكحل ، ما هجا به شخصاً اسمه ابن بغل ؛ يقول له فيه (301) :

ألا قل لابن بغل لا يؤذن فييخس ذكر خالقه بفيه

إذا ما كان في فمه كنيف فكيف يحل ذكر الله فيه ؟!

وممن تعرض لهم مرج الكحل في هجائه الملوك والولاة ، ولكنه لم يذكر أسماء هؤلاء المهجوين من الملوك والولاة ربما لخطورة تلك على حياته ، فمن ذلك قوله (302) :

دخلتم فأفسدتم قلوباً بملككم فأنتم على ما جاء في سورة النمل (303)

وبالعدل والإحسان لم تتخلقوا فلستم على ما جاء في سورة النحل (304)

الفصل الرابع الدراسة الفنية

4 . 1 ظواهر أسلوبية

جاء معظم الشعر الاجتماعي في عهد المرابطين والموحدين في مقطوعات قصيرة تتميز بوحدة الشعور ، وتعبر عن فكرة واحدة ، وتنقل عاطفة واحدة ، وتمتاز هذه المقطوعات ، والشعر الاجتماعي بصورة عامة بسهولة الأساليب ، ورشاقة التراكيب، ورقة الألفاظ ، ونعومتها ، وكان الشاعر الأندلسي يختار اللفظ بانتقاء شديد ؛ ليزيد من وقعها في نفوس المتلقين ، ومن هذه الألفاظ لفظة (تسافر) الواردة في بيت الشاعر ابن خفاجة⁽³⁰⁵⁾ :

تسافر كلتا راحتي بجسمه فطورا إلى خصرٍ وطورا إلى نهدٍ
فقد أعطى الشاعر الكلمة معنى ظريفاً ، وملأها بنوع مكثف من الإيحاء والخيال، فاليد تنتقل من جزء إلى جزء من جسم حبيبته ، كما تعطي صاحبها نوع من اللذة والسرور لا حدود لها ، وقد لا يشابهها الا شعور المسافر الذي ينتقل من مكان إلى مكان ، وما يحس به هذا المسافر من فرحة وسرور وجمال متجدد ومتنوع ، يبعث فيه الفرح والسعادة ، وفي قول مرج الكحل⁽³⁰⁶⁾ :

طفل المساء ، وللنسيم توضع والانس ينظم شملنا ويجمع
والزهر يضحك من بكاء غمامة ريعت لشيم سيوف برق تلمع
والنهر من طرب يصفق موجه والغصن يرقص والحمامة تسجع
فلفظتا (طفل ، توضع) لا يخفى ما فيهما من دמئة وإيحاء وتشبيه ، فقد شبه الشاعر الزهر بالإنسان الذي يضحك من شدة فرحه وسعاده ، كما شبه النهر بالإنسان الذي يصفق طرباً . ثم ان الجملة الشعرية قد تستعين ببعض من البلاغة لأجل تحسين اللفظة ، وهذه المحسنات لا عيب من إتيانها ، ولا ضرر على الأسلوب منها ، وأفضل هذه المحسنات ما جاء عفويًا غير مقصود ، واما إذا جاء عن طريق القصد والتصنع فإنها تفقد الشعر روحه ، وبالتالي يفقد وظيفته الحقيقية .

ومن الاستعانة بالظواهر الأسلوبية التي جرى عليها الشعراء في هذه العصر
الاستعانة بالمحسنات اللفظية ، وهنا نذكر أبياتاً لابن خفاجة من قصيدة جرى فيها على
طريقة الشعراء في المشرق (307) :

علقتَه أحوى اللمى أحورا عاطر أنفاس الصبى عاطلا
معتدلاً معتدياً في الهوى أحبب به معتدلاً مائلاً
فقد جانس الشاعر في البيت الأول جناساً ناقصاً (308) بين (أحوى) و (أحورا) ،
وبين (عاطر) و (عاطل) ، وكذلك فعل في البيت الثاني ، فقد جانس بين (معتدل)
و (معتدى) ، ثم طابق (309) بين (معتدل) و (مائلاً) في الشطر الثاني من نفس البيت .
ومن شعراء الموحدين الذين زينوا أساليبهم بالمحسنات اللفظية ، الشاعر الرصافي
البلنسي (310) :

حمدوا إلى جدوا أعقبهم حمد بأحمد ماله حد
فقد جانس الشاعر جناساً ناقصاً بين (حمدوا) و (حمد) و (احمد) ، وكذلك بين (جد)
و (حد) .

ويستخدم الجناس أيضاً لإثراء القصيدة بالنظم الناشئ من تجاور الحروف وتردد
الأصوات ، ومن ذلك ما جاء في قول الرصافي (311) :

غزِيل لم تزل في الغزلة جائلةً بنانه جولان الفكر في الغزل
فالجناس في هذا البيت بين غزِيل والغزل يعطي لوناً من الموسيقى الذي تطرب له
الأذن .

ومن المحسنات اللفظية التي ظهرت عند الشعراء وولعوا بها في عهد المرابطين
والموحدين وأكثروا من إدراجها في أشعارهم المقابلة (312) ، ومن النماذج التي تظهر
فيها أبيات لابن خفاجة (313) :

فاذا رنا ، وإذا شدا وإذا سقى ، وإذا سفر
نضح المدامة والحمما مة والغمامة والقمر
فقد قابل الشاعر في هذه الأبيات بين (فاذا رنا ، وإذا شدا) ثم قابلها بـ (إذا سقى ،
وإذا سفر) . ومن الملحوظ أن ابن خفاجة يستعين كثيراً بالوسائل البلاغية في رسم

صوره الأدبية ، ولكن هذه الاستعانة لم تفقده الرونق والسلاسة ، فجاء أسلوبه جميلاً ، وكلامه بعيداً عن كل تعقيد أو تركيب ركيك .

ومن الأمثلة على استخدام فن المقابلة ما جاء في قول الشاعر ابن شلبون⁽³¹⁴⁾ :

أوجهك واللاحاظ والقدر والروض أم البدر واليعفور والغصن والحقف
ورياك عم الخافقين أريجهما أم المسك من دارين نم له عرف
فقد قابل الشاعر في هذه الأبيات بين (أوجهك واللاحاظ والقدر والروض) و (أم البدر واليعفور والغصن والحقف) .

ومن المحسنات اللفظية التي استخدمها الشعراء في عهد المرابطين والموحدين في أشعارهم التورية⁽³¹⁵⁾ ، ومن ذلك ما يظهر في أبيات أبي جعفر بن سعيد التي يصف منها نهراً قصيراً في أسنته وسروره ؛ يقول⁽³¹⁶⁾ :

لله يوم مســـــــررة أضوا واقتصر من ذباله
لما نصبنا للمنى فيه بأوتارٍ حباله
طار النهار به كمر تاع فأجفلت الغزالة
فكأننا من بعده بعنا الهداية بالضلالة

والنهار : ذكر الحبارى ، واليه أشار بقوله (طار النهار) ، والغزالة هي الشمس وقد وارى فيهما تورتين جميلتين .

وقد أدى كثرة استخدام المحسنات اللفظية في عهد الموحدين إلى نوع من التكلف والتصنع وفقدان الشعر روحه ورونقه ، ومن أفعالهم الزينة اللفظية ، ما جاء في قول أبي النعيم رضوان بن خالد المالقي في رثاء عامر بن حسّون ، صاحب مالقة⁽³¹⁷⁾ :

سكنت فحركت الأسى والتفجعا ونمت وأيقظت البكا والتوجعا
ومتّ فأحييت المتاعب كلها وغبت فأحضرت المصائب اجمعا

حيث يظهر في هذه الأبيات الطباق بين (سكنت) و (حركت) ، وبين (نمت) و (أيقظت) وبين (مت) و (أحييت) ، وبين (غبت) و (أحضرت) ، وقد جانس الشاعر بين (التفجع) و (التوجع) ، وبين (المتاعب) و (المصائب) .

فالتكلف والتصنع والافتعال أمور ظاهرة في هذه الأبيات ، في مقام الرثاء الذي يتطلب فيه الصدق والعاطفة الصادقة المعبرة عن هذا الموقف الحزين والانفعال ، ولو

خلص الشاعر في هذه الأبيات إلى مشاعره وعواطفه لكان أفضل له ، لأن الرثاء ينم عن مشاعر صادقة ، وإحساس مرهف مفعم بالعاطفة التي تسيطر على الأبيات .
وقد بلغ من تصنع الشعراء في عهد الموحدين أن بنوا قوافيهم على أحرف معينة تتكرر في كل الأبيات ، ومن ذلك ما يظهر في أبيات أبي بكر بن يزيد بم محمد بن عقلاّب(318) :

دن بالرضا واجنح لأسبابه ودع من العتب وأوصا به
وقاسم الحر واقسم به في حلوه ان كان أوصا به
واربط على العهد وحافظ على ما قاله الخل وأوصي به
فالقافية المشتركة في هذه الأبيات هي (أوصا به) في البيت الأول ، و (أوصا به) في البيت الثاني ، و (أوصي به) في البيت الثالث .

واستمد الشاعر الأندلسي معانيه وأفكاره من ثقافته المختلفة : الدينية ، والأدبية ، واللغوية ، لإثراء مضامين شعره ، مستعيناً على ذلك بالتضمين أو التورية ، أو الإشارة ، فقد كان للثقافة الدينية أثر واضح في شعرهم وفنونهم ، فمن ذلك قول عبدالله محمد بن أبي الخصال في مغن زاره بعد طول غياب(319) :

وأوفى وقد عظمت عليّ ذنوبه في غيبة قبحت بها آثاره
فمحا إساءته بها إحسانه واستغفرت لذنوبه أوتاره
فالألفاظ : عظم ، ذنوب ، وغيبة ، وقبح ، وإساءة ، وإحسان ، واستغفر ، مستمدة من الشريعة والفقه ، وقد وظفها الشاعر في شعره بطريقة فنية جميلة .

ويعد الشاعر ابن سهل من أكثر الشعراء في هذا العصر استخداماً للألفاظ المستمدة من الشريعة والفقه ، فالدارس لديوانه يستطيع التوصل إلى تلك الألفاظ ، ببسر وأغلبها مستوحى من قصة سيدنا موسى عليه السلام ، ومن ذلك قوله (320) :

فعلت فعال عصا الكليم لحاظه بمصدق دعواه لا يعصيه
تسعى لقلب الصب منها حية أودت به لسعا فمن يرقيه
وأرى قلوب العاشقين تحيرت من تيهه في مثل قفر التيه
فقد وظف الشاعر في أبياته بعض الألفاظ الدينية المأخوذة من قصة سيدنا موسى عليه السلام ، وهذه الألفاظ هي : (عصا الكليم) و (حية) و (الرقية) .

وقد كان بعض الشعراء يضمن شعره بعض الآيات القرآنية تضميناً كاملاً كما في قول أبي القاسم الغافقي ت (614هـ) ، حيث يضمن قوله تعالى (ويحسب أن ماله أخذه ، كلا لينبذن في الحطمة) ؛ يقول⁽³²¹⁾ :

لا تغبطن كل موفور الظنى	مشتماً ملابس العظيمة
يلمز لا بسبب إلا بما	يحويه من أكياس المذممة
فإنه قد أخبر عن أمثاله	وقال في آياته المحكمة
" يحسب أن ماله أخذه	كلا لينبذن في الحطمة "

ومن الظواهر الأسلوبية التي ظهرت في هذا العصر توظيف المصطلحات النحوية في أشعارهم للتعبير عن بعض معانيهم وأفكارهم ، ومن ذلك ما جاء في قول ابن جبير الرحالة⁽³²²⁾ :

أخلاء هذا الزمان الخؤون	توالت عليهم صروف العلل
فقضيت التعجب من بابهم	فصرت أطالع باب البذل

فقد استمد (حروف العلل) ، (أسلوب التعجب) ، (البذل) ، وهي من المصطلحات النحوية المعروفة .

ولقد كان أغلب الشعراء في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس يستقون معانيهم وأفكارهم من رافدين أحدهما يمتد من المشرق ، والآخر من داخل الأرض الأندلسية ، فأما ما أخذوه من الشرق فيتضح في معاني كثيرة ، وأذكر منها قول الأعمى التطيلي في الرثاء⁽³²³⁾ :

هل نافعي والأمني كلها خدع	قولي له اليوم لا تبعد وقد بعدا
---------------------------	--------------------------------

فالمعاني الشرقية التي استعان بها الشاعر الأعمى التطيلي والتي تظهر جلية في بيته (فلا تبعد وقد بعدا) ، فقد أخذ معناه من قول مالك بن الريب في رثاء نفسه⁽³²⁴⁾ :

يقولون لا تبعدوهم يدفونني	واين مكان البعد إلا مكانيا
---------------------------	----------------------------

وقول الأعمى التطيلي⁽³²⁵⁾ :

يمّمته فلقيت خير ميمم	ورحلت عنه فكان غير مذمم
-----------------------	-------------------------

فالمعاني الشرقية التي وظفها الشاعر في بيته (يمّمته خير ميمم) ، (غير مذمم) ، وقد استوحاها من بيت المتنبي عندما فارق سيف الدولة إلى مصر⁽³²⁶⁾ :

فراقٌ ومن فارقتُ غير مذمم وأم ومن يمتت خير ميمم
وقال ابن سهل في الرثاء⁽³²⁷⁾ :

لقد أعقت بالبؤس منك وبالنعى وأصبح طرفاً لا أراك به أعمى
فقد احتذى الشاعر في قوله (طرفاً لا أراك به أعمى)، قول المتنبي في رثاء جدته⁽³²⁸⁾ :
وما انسدت الدنيا عليّ لضيقها ولكن طرفاً لا أراك به أعمى
أما الرافد الثاني الذي ينبع من أرض أندلسية ، ويتغذى من الموروث الأندلسي
فكثر ، ومن ذلك ما جاء في قول الأعمى التطيلي في قصيدة مدح⁽³²⁹⁾ :
بكت هندٌ من ضحك المشيب بمفرقي ما علمت ان الشباب خضاب
وقوله :

وأقسم لولا ماله من مآثر ———— لأصبح ربع المجد وهو يباب
فقد استمد الشاعر قوله (الشباب خضاب) ، (ربع المجد) من قصيدة لابن وهبون
في مدح ابن عمّار ، حيث يقول⁽³³⁰⁾ :

ولما رأيتُ الزور في الناس فاشيا تخيل لي ان الشباب خضاب
ولولا ابن عمّار وفاضل سعيه لأصبح ربع المجد وهو خراب
واستعان الشاعر ابراهيم بن علي بن ابراهيم الخولاني ت(616هـ) في بناء
قطعته التي قالها بعد فتح قفصة⁽³³¹⁾ :

لما زنت ، وهي تحت الأمر محصنة رجتموها اتباع الشرع بالحصب
بقول ابن خفاجة في تصوير تساقط المطر⁽³³²⁾ :

وكانما زنت البسيطة تحت ———— فأكب يرحمها الغمام الحاصب
ويستغل ابن سهل صورة تنثي القوام الرشيق ، وتمايله الواردة في بيت ابن
هانيء الأندلسي الآتي⁽³³³⁾ :

ودعوك نشوى ما سقوك مدامة لما تمايل عطفك اتهموك
فيقول ما يشبهه⁽³³⁴⁾ :

وتوهموا ان قد تعاطت قهوةً لما رأوها تنثني من لين
فالصورة التي أخذها الشاعر ابن سهل من بيت ابن هانيء هو بعدما شرب من
الخمر وسكر أصبح جسمه يتمايل من شدة السكر .

ونلفت النظر إلى ظاهرة تكرار المعاني والصّور لدى شاعر واحد ، وهو ما يظهر بشكل واضح وجلي عند الشاعر ابن سهل الأندلسي ، حيث يكرر بعض المعاني والصّور التي تثير إعجابه في أكثر من مكان وفي أكثر من بيت في ديوانه ، بنفس اللفظ أو بألفاظ قريبة ، حتى أصبحت سمة يتسم بها شعره ، ومن هذا التكرار قوله (335) :

ان فؤادي فراش شوقكـــــــــــــــــم
صادف نار الغرام فاحترقا
حيث كرر هذا اللفظ مرة ثانية بقوله (336) :

وكننت في كلفي الداعي الى تلفي
مثل الفراش احب النار فاحترقا
وعاد وكرر نفس اللفظ مرة ثالثة بقوله (337) :

ترى العواذل حولي كالفراش وقد

حاموا فأحرقتهم بالشوق في فرشي
فصورة الفراش الحائم حول النار ، والمحترق بها تتكرر عند الشاعر في صورة فؤاده أولاً ، وصورة حال كلفه ثانياً ، وصورة العواذل وتهافتهم على الشاعر ثالثاً .

4 . 2 الموسيقى :

إن الباحث في الشعر الاجتماعي يلحظ أن الشعراء كانوا يلتمسون الأوزان القصيرة لخواطرم المرحاة اللاهية ، كقول ابن السيّد البطليوسي (338) :

عندي مشكود من الخمر عبق
فيه منى مصطبج ومغتبق
كأنما كؤوسه تحت الفسق
في راحة الساقى نجومٌ تأتلق

وللقوافي أهمية كبيرة في إيقاع الشعر ، فإذا قلنا إن القافية عبارة عن عدة أصوات تكرر في أواخر الأسطر أو الأبيات من القصيدة ، فإن تكرارها يكون جزءاً مهماً من الموسيقى ، فهي بمثابة فواصل موسيقية (339) ، وقد عني بعض الشعراء باختيار قوافيهم فجاءت مناسبة لموضوعاتهم ، كقافية ابن بقي التي يقول فيها (340) :

عاطيته والليل يسحب ذيله
صهباء كالمسك الفتيق لناشق
وضممته ضم الكمي لسيفه
وذؤابتاه حمائل في عاتقي

حتى إذا اخذت به سنه الكرى زحزحته عني وكان معانقي
أبعدته عن أضلع تشتاقه كيلا ينام على فراش خافق
فعلى الرغم من أن القاف من الحروف الثقيلة وإن الشاعر استطاع أن يخلق منها
ترجيماً موسيقياً جميلاً ، وإن يخفف من ثقل القاف بالكسرة .

وقد لجأ الشعراء إلى وسائل شتى للخروج على رتبة الإيقاع الذي ينتج عن
الالتزام بالوزن الواحد ، وتكرار القافية ، فاهتموا بتوفير لون من الموسيقى الداخلية
وذلك عن طريق إيجاد جمل متناسقة من الناحية الصوتية ، وعن طريق تناسق الألفاظ
فمن ذلك قول ابن سعيد (341) :

والقضب راقصة والطير صادحة والنثر مرتفع ، والماء منحدر
وقد تجلّت من اللذات أوجهها لكنها بظلال الروح تستتر
والجمل المتناسقة التي تظهر في هذه الأبيات هي : القضب راقصة ، والطير صادحة ،
والنثر مرتفع والماء منحدر .

وهناك عناصر إيقاعية أخرى تثري القصيدة بالنغم والموسيقى ، كتكرار حرف
النداء ، فله قيمة موسيقية لا يخفى وقعها في نغمة البيت كله ؛ كما في قول ابن سعيد
الأندلسي (342) :

يا أوراقاً ، يا غصناً يانقاً يا ظبيةً ، يا ليل يا صبح
كذلك فإن تردد الحروف في البيت الواحد ، يضيف لونا من الموسيقى تألفه الأذن
وتستريح له ، كتكرار حرف السين في بيت ابن سهل الإشبيلي (343) :

نفسى تلذّ الأسى فيه وتألّفه هل تعلمون لنفس بالأسى سببا
كما أن تردد أداة التشبيه في البيت الواحد يعطي نوعاً من الموسيقى ، وهذا
واضح في أبيات الرندي ؛ إذ يقول (344) :

وليلٌ بته كالدهر طـولا	تتكر لي وعرفه التمام
كأن سماءه روضٌ تجلى	يزهو الزهر والشوق الكمام
كأن البدر تحت الغيم وجه	عليه من ملاحظته لثام
كأن الكوكب الدري كأس	وقد رق الزجاج والمـدام
كأن سطور أفلاك الدراري	قسى والرجوم لها سهـام

كما يرصع ابن خفاجة شعره بقوله⁽³⁴⁵⁾ :

فما أراه ظاعناً راحلاً إلا أراه قاطناً نازلاً
فلفظة (فما أراه) إزاء (ألا أراه) ، و(ظاعناً) إزاء (قاطناً) ، و(راحلاً) إزاء
(نازلاً) ، فالطرفان مستويان في الوزن والقافية .

وهناك ملحوظة يجدر الإشارة إليها ، والمتعلقة بالأوزان في العصر الموحدي ،
ألا وهي استخدام بحر المتدارك أو الخبيب ، ولعل السبب يعود إلى أن البناء
الموسيقي في هذا العصر قد تأثر تأثراً واضحاً بموسيقى الموشح ، وذلك لوجود
الكثير من شعراء هذا العصر الذين جمعوا بين الشعر والموشح ، وتأثر البناء الموسيقي
بموجة الغناء التي انتشرت في هذا العصر ، فاتجه الشعراء إلى الأوزان الخفيفة
الراقصة التي تناسب الغناء ، وتفي بحاجات المغنين⁽³⁴⁶⁾ ، وقد شاع استخدام هذه
الأوزان في الغزل إلى جانب الموضوعات الجادة كالمدح ، مثل قول ابن سعيد بن حكم
يمدح أحد أمراء الموحدين⁽³⁴⁷⁾ :

يا أمير المؤمنين يا إمام العالمينا
نحن ما دمت بخير لا تزل في الدائمين
أمن الله بك الخا نف أمين آمينا

كما أن أمراء الموحدين كانوا يكلفون الشعراء النظم في بحر المتدارك أو الخبيب
؛ لخفته ورشاقته ، فأكثر الشعراء من مدائحهم في هذا البحر ، ومن ذلك قول ابن سكين
الاشبيلي مادحاً⁽³⁴⁸⁾ :

أخجلت الشمس لدى الحمل وسمت قدماك على زحل
وكنيت للشهب بنيرة من شهب الظبا بذرى الاسل
أحرقت عدائك إذا مردوا من لمع سفارك بالشعل
سجدت في الأرض رؤوسهم بطبا الاسياف على عجل

4 . 3 الصورة الشعرية :

هي رسم قوامه الكلمات ، وقد لامسته صفة حسية ، كما أن الوصف والمجاز
والتشبيه يمكن أن تخلق صورة ، أو أن الصورة يمكن أن تقدم إلينا في عبارة أو جملة

يغلب عليها الوصف المحض ، ولكنها توصل إلى خيالنا شيئاً أكثر من انعكاس متقن للحقيقة الخارجية . كما أن الطابع الأعم للصورة هو كونها مرئية ، وكثيراً من الصور التي تبدو غير حسية لها مع ذلك في الحقيقة ترابط مرئي باهت ملتصق بها ، ولكن من الواضح أن الصورة يمكن أن تسقى من الحواس الأخرى أكثر من استقائها من النظر⁽³⁴⁹⁾ ، يقول الدكتور عبد القادر القط : " الصورة في الشعر هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة ، مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني ، والألفاظ والعبارات هما مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني ، أو يرسم بها صورته الشعرية⁽³⁵⁰⁾ " .

وقد اهتم شعراء الأندلس بالصورة الشعرية اهتماماً بالغاً ، واعتمدوا على الأسلوب الفني التصويري في نقل أفكارهم ومشاعرهم ، سواء أكان ذلك بالأسلوب البياني أو بالأسلوب الوصفي ، وأغلب ما تكون الصورة الشعرية واضحة في الأشعار التي تصور خلجات النفس ، والعواطف والوجدان ، مع بيان وقع الأحداث عليها ، وذلك حين يواجه الشاعر بعض المواقف الخاصة ، مثل مواقف الوداع والقلق وغيرها والآن تأمل هذه الصورة التي رسمها الوزير الفقيه الحبيب المشاور في موقف وداع :

أزف الفراق ، وفي الفؤاد كلوم	ودنا الترحل والحمام يحوم
قل للأحبة كيف أنعم بعدكم	وانا اسافر والفؤاد مقيم
قالوا : الوداع يهيج منك صباية	ويثير ما هو في الهوى مكتوم
قلت : اسمحوا لي ان أفوز بنظرة	ودعوا القيامة بعد ذاك تقوم ⁽³⁵¹⁾

وقد كثرت الصور التقليدية التي استمدّها الشعراء الأندلسيون من أسلافهم ، فقد ظلوا - مثلاً - يشبهون المرأة بالبدر في الجمال ، ويقرنون شعرها بالليل ، وقدّها بالغصن ، وخدّها بالورد ، ، وعيونها بالنرجس .. إلى غير ذلك من الصور الموروثة ؛ وفي هذا يقول ابن خفاجة⁽³⁵²⁾ :

فتق الشباب بوجنتيها ورده	في فرع إسحلية تميد شبابا
وضحت سوائف جيدها سوسانة	وتوردت أطرافها عنابا

بيضاء فاض الحسن ماءً فوقها وطفا بها الدر النفيس حبابا
 بين النجوم قلادة تحت الظلا م غمامة خلف الصباح نقابا
 كما استفرغ الشعراء كثيراً من طاقاتهم الفنية في الإتيان بالتشبيهات والاستعارات
 الجديدة ، واستخراج الصّور الطريفة ، وتوليد المعاني المبتكرة من أشعار الأقدمين ،
 ومن هؤلاء الشعراء الرصافي البلنسي ، كما في قوله يشبه الحريري وهو يمسك خيوط
 الحرير بفيه بالغزال وهو يمسك بالعرار ؛ يقول (353) :

أغيد يمسك الحرير بفيه —————
 مثلما يمسك الغزال العرارة
 وقد كان خازم القرطاجني ذا مقدرة تخيلية قوية ظهرت في تشابهه واستعاراته
 وأتى فيها بالكثير من الصور الجديدة ، فألبس المعاني صوراً حيّة ، وبث روح الحركة
 والحياة فيها ، ومن أمثلتها قوله وهو يرسم صورة طريفة لوردة بيضاء أنافت على
 ساقها تشرب بعد أن أشارت لها كف البروق بكأسها ، ويذكره هذا المنظر بمنظر جارية
 تميز في غلائلها البيض ، وترفع أذيالها حول رأسها (354) :

ومبيضة الاثواب تدعى بوردة تقل لها الأشياء عند التماسها
 أنافت على ساق لتشرب عندما أشارت لها كف البروق بكأسها
 كجارية قامت بيضاً غلائل مرفعة أذيالها حول رأسها
 ويصور خالد المالقي كأساً يجسمه تجسماً حياً ، فالكأس وهي في يد شاربها
 ضاحكة كالفتاة البكر الجميلة السعيدة التي تمرح بين السعادة والسرور والخضر ؛ إذ
 يقول (355) :

والكأس ضاحكة في كف شاربها كالبكر تمرح بين الأنس والخضر
 وقد تنوّعت الصورة في الشعر الأندلسي بين صور جزئية ، ولوحات كبرى
 توصل الشعراء في رسمها بالتشخيص والتجسيد ، فالأشياء ترتفع إلى مرتبة الكائن الحي
 وتستعير صفاته ، والمعاني منقولة إلى المادية والحسية في الحالة الثانية 0 كما قدم
 بعض الشعراء المدينة في صورة امرأة ، يصورها الشاعر فتاة جميلة عذراء ، تستر
 نفسها إذا جاءها الشاعر ، وترتدي الملابس الحريرية الجميلة ؛ يقول مروان بن
 عبد الملك ابن عبد العزيز ملك بلنسية بعد فراقها (356) :

كأن بلنسية كاعب —————
 وملبسها سندس أخضر

إذا جئتها سترت نفسها —————
بأكمامها فهي لا تظهر

ويلجأ بعض الشعراء إلى طرق أخرى في صياغة صورهم الفنية ، كالتحوير والتغليب وحسن التعليل ، فنرى ابن سهل في إحدى صورهِ يطرق معنىً شائعاً متداولاً وهو غرق المحب في دموعه ، ولكنه يحود في هذا المعنى ويسلك به درباً آخر فيقول إن جسده خفّ مما يعانيه من الضنى والعذاب حتى طفا فوق دموعه ؛ وفي ذلك يقول (357):

لستُ في دمعي غريقاً أنما جسدي خفّ ضنى حتى طفا

وقد اعتمد الشعراء على حواسهم في بناء صورهم اعتماداً واضحاً ، وكانت الصور المرئية التي تعتمد على البصر مثل اللون ، والهيئة ، وانفعالات الوجه ، والحركة من أكثر الصور دوراناً في الشعر ، وصور أخرى تتوسل بالسمع وتصف الأصوات ، وقد برزت هذه الصور من خلال مشاعرهم وأحاسيسهم في إطار من الجمال ، والإيحاء الفني ، كما مزج الشعراء بين هذه الصور وأخرجوها في لوحات فنية متكاملة .

فقد مزجت في الأبيات التالية التي قالها مرج الكحل عندما استمد صورته الغزلية من عناصر الطبيعة ، الألوان الزاهية في ، الاستعارات التي تصور الحركة الهادئة والأصوات الخافتة ؛ يقول (358) :

سروا يخبطون الليل والليل قد سجا	وعرف ظلام الأفق منه تأرجحاً
إلى أن تخلينا النجوم التي بدت	به يا سميناً والظلام بنفسجاً
ومما شجاني أن تألق بـبارق	فقلت : فؤادي خافقاً متوهجاً
وشيب بياض القطر منه بحمرة	فأذكرني ثغراً لسلمى ومفلجاً
أمائسة الأعطاف من غير خمرة	بأسهمها تضمُّ الكمي المدججاً
أأنت التي صيرت قدك مائساً	وعطفك مياداً وردفك رجرجاً
واغضبك التشبيه بالبدر كاملاً	وبالدعص مركوماً وبالضبي أدعجاً
وقلب شجّ صيرته كرة وقـد	أجلت عليه لام صدغك صولجاً
فلا رحلت الأ بقلبي طعينـةً	ولا حملت إلا ضلوعي هودجاً

ويعصف الشاعر ابن سارة نهراً مصوراً رقة امواجه بحركة الخصر ؛ و ذلك إذ يقول (359) :

تترقرت الأمواج فيه كأنها ———
عُكِنَ الخصور تهزها الأعجاز
وقد استوحى الشعراء صورهم من مصادر كثيرة ، بعضها تقليدي موروثة ،
وبعضها يرتبط بالبيئة الأندلسية ارتباطاً وثيقاً ، وبعد تتبع الكثير من الصّور الشعرية ،
تبين أن الشعراء استمدّوها من حياتهم الاجتماعية ، التي كانوا يعيشونها ، فكان لها
الفضل في إرفاد الشعر بالأخيلة والصّور والتشبيهات الغزيرة ، حتى بدت أشعارهم
موشاة بصنوف الأزهار والورود ، وغير ذلك من النباتات الجميلة ، فنرى الشاعر
الرصافي وهو يصف وردة فيتخيلها قد استمدّت حمرتها من حمرة غلامه ولا يكاد يفرغ
من هذا حتى يخلص إلى معنى آخر يشتقه من صورة الوردة ، فيرى ان الوردة
الحمراء تذكره بدماء غلامه الذي قتل وهو ينزف دما فتوارت الوردة واستمالت إلى
قطعة دماء مجتثها الأرض من دم غلامه كما وتزخر هذه الأبيات بالألوان ؛ يقول :

يا وردة جادت بها يد متحفي	فهى لها دمعي وهاج تأسفي
حمراء عاطرة النسيم كأنها ———	من خد متقبل التشبيه متصرف
عرضت تذكرني دماً من صاحب	شربت به الدنيا سلافة قرقف
فلثمتها شغفا وقلت لعبرتي	هي ما تمج الأرض من دم يوسف (360)

ويستوحى ابن خفاجة تصويره لإحدى الفتيات من شجرة إذ يتغزل بها وكأنها فتاة ، وتظهر عناصر الصورة من لون وحركة وصوت في هذه الأبيات ؛ إذ يقول :

يا رب مائسة المعاطف تزدهي	من كل غصن خافق بوشاح
مهتزة يرتج من أعطافها ———	ما شئت من كفل يموج رداح
نفضت ذوائبها الرياح عشيّة	فتملكتنا هزة المرتاح
حط الربيع قناعها عن مفرق	شمط كما تزبد كأس الراح
لقاء حاك لها الغمام ملاءة	لبست بها حسناً قميص صباح
نضح الندى نوارها فكأنم ———	مسحت معاطفها يمين سماح
ولوى الخليج هناك صفحة معرض	لثمت سوافها ثغور أقاح (361)

وكما استمدّ الشعراء في عهد المرابطين والموحّدين صورهم من الطبيعة الحيّة ،
فنسجوا منها صوراً لقت نجاحاً باهراً ، فينشئ الشاعر صوراً مترابطة متماسكة تنمو
كالشجرة ، فتظهر صورة جميلة باهرة ، فقد رسم الشاعر الأبيض صورة جميلة لكبش
العيد المتمني ، فيصور الشاعر هذا الكبش بأنه زعيم لهذه الحظيرة وقد سيق إلى الذبح
؛ وفي ذاك يقول (362) :

وقد أعدته ذبحاً كريماً	ليومك و الزمان به شحيح
زعيم حضيرة من آل ضأن	له في قومه نسب صريح
ترى أوداجه تبذي نجيعاً	كأن ضحى النهار به جريح
وكان غنيمة لأمير قوم	مسالكه إلى الغارات فيح
اصمّم في الصراط عليه شرا	كأنني فوقه بطل مشيح
أفوت به السوابق وهي تجري	بشدة جهدها وأنا مريح

كما يستمدّ الشاعر ابن سهل الاندلسي إحدى صورهِ الفنية من البيئة المسيحية
وذلك من خلال حديثه عن فكرة التثليث في قوله يمدح ابن خلاص صاحب سبّة ؛
يقول (363) :

فشا خوفه في الروم حتى حسامه	لهم صنع سنوا السجود له جهرا
وأحسبهم قد ثلثوه فإنهم	يرون عليهم النور والماء والجمرا

ومن الصور الفنية التي نسجها الشعراء في هذا العصر والتي تظهر فيها
براعتهم في استتطاق الأشياء وتشخيصها وإضفاء روح الحركة والحياة عليها ،
فالنرجس يرنو مشيراً إلى الكؤوس والأسى ينصت ، والتفاح ينوب خجلاً ، والترنجان
يميس في حلة سندسية ، والكؤوس تضحك ووجه الدجنة يبتسم ، وفي هذا الجو المشبع
بالبهجة يطيب الغناء ، ويلذ شراب الراح ، فالأبيات لوحة جميلة نابضة بالحياة والحركة ،
يقول القاسم ابن يامن (364) :

رنت نحوكم مقل النرجس	وأمسّت تشير إلى الأكوس
وقد حدد الآسى آذانه	ليسمع ما دار في المجلس
وأخجل تفاحها واغتدى	يروم الكلام ولم ينبس
وقد باح أترجها بالهوى	وظاهره بالضنى مكتسى

وماس الترنجان في حلة	تروق العيون من السندس
وكالجمر نارنجنا قد بدا	يروع العيون ولم يقبس
وقد ظحكت بيننا أكسوس	فوجه الدجنية لم يعبس
فيا ضارب العود حث الغنا	ء ويا ساقى الكأس لا تحبس

كما إن بعض الصّور التي ينشئها الشاعر تكون فيها مبالغات ممقوتة ، فيبتعدون فيها عن صدق التجربة بهذه المبالغات المفسدة للصورة ، وفي هذه الحالة لا تنقل الصّورة أي إحساس حقيقي ، وهذا واضح في أبيات الشاعر الأبيض في التهنئة بمولود ؛ إذ يقول (365) :

أصاغت الخيل آذاناً لصرخته	واهتزّ كل هزبز عندما عطسا
تعشّق الدرع مذّ شدّت لفائفه	وابغض المهد لمّا أبصر الفرسا
تعلّم الرّكض أيام المخاض به	فما امتطى الخيل الا وهو قد فرسا

الخاتمة

لقد عبّر الشعر الاجتماعي (في عهد المرابطين والموحّدين في الأندلس) ، عن حياة الناس ومعيشتهم ، وتباين ظروفهم وآمالهم وتطلعاتهم .

ورسم الشعر الاجتماعي صوراً للإصلاحات الاجتماعية التي قام بها بعض الأمراء والخلفاء وأوضح رعايتهم لمصالح الناس العامة ، وعنايتهم بالمساجد والمدارس والمستشفيات .

ودرست في هذه الرسالة الشعر الاجتماعي في الأندلس في عهد المرابطين والموحّدين ، وكانت الغاية المرجوة من هذه الدراسة إلقاء الضوء على ذلك العصر ، فأكثر الدارسين والمؤرخين لم يعتمدوا على دراسة الشعر الاجتماعي ، وإنما اقتصرّت دراساتهم على جوانب أخرى .

وتبين لي ان الصلة كانت وثيقة بين الشعر والمجتمع ، فبدأ النقد الاجتماعي واضحاً في شعر الشعراء ، وحمل الشعر في طياته تعريضاً بالسلطة الحاكمة ، مصوراً الظلم الذي مارسه للمحافظة على نفوذها .

أمّا تيار اللّهُو فيبدو انه كان أقلّ حدة من العصور السابقة ، فقد رسم لنا الشعراء صورة واضحة عنه من خلال تناولهم للحياة اللاهية بشقيها ، مجالس الشراب واللّهُو ومجالس الغناء والرقص .

كما ساهم الشعر في تجسيد الأعياد الدينية والطقوس المألوفة والعادات والتقاليد الاجتماعية التي تعبر عن العلاقات الودية التي تمتن أواصر الصلة بين أفراد المجتمع . كما صورّ الشعر المرأة الأندلسية بما كانت تتمتع به من حرية جعلتها تشارك الرجال وتناظرهم في المجالس ، كما سمحوا لها بالخروج والسير بالطرقات .

كما صورّ الشعر بعض المظاهر الاجتماعية من خلال لون شعري هو (شعر الاخوانيات) الذي أضحى ظاهرة اجتماعية كثرت واتسعت حتى غدت عادة مألوفة في ذلك العصر .

ولمستُ من استقرائي للشعر ان الشعراء اتكئوا على الموروث الشعري حباً بالتراث ، كما أسرفوا في اصطناع المحسنات البديعية ، كالتورية والاقتباس والجناس والطباق .

وبنى الشعراء قصائدهم ومقطوعاتهم بناءً فنياً يتفق ومقاييس العصر ، فعلى سبيل المثال كانت المقطوعات أكثر ملائمة لروح عصرهم للتعبير عن بعض الموضوعات ، كالنقد الاجتماعي ، وشعرهم المرح ، أما الصورة الشعرية فقد تأثرت واستمدت من حياتهم الاجتماعية التي كانوا يعيشونها ، فجاءت تعبيراً صادقاً عن مشاعرهم وعواطفهم.

وكل ما يمكن ان يقال : ان الشعر اتسع مجاله في ذلك العصر ، واستمدّ الشعراء مادتهم من ثقافتهم ، الى جانب الموروث الشعري ، فجاءت أشعارهم متشابهة بشكل كبير ، إلا انهم استطاعوا من خلالها رسم صورة واضحة المعالم لمجتمعهم في ظل حكم المرابطين والموحّدين . لهذا أمل ان تكون دراستي سبيلاً مضاءً ، تساهم الى حد ما في إمطة اللثام عن ذلك العصر بحيث يغدو واضحاً كسائر العصور السابقة .

- (1) علي الغزيوي ، أدب السياسة والحرب في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرابع هجري ، مكتبة المعارف للنشر ، الرباط ، ص 63 .
- (2) حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، (1405هـ - 1985م) ص 126 .
- (3) المصدر نفسه ، ص 378 .
- (4) عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت (1976م) ، ص 134 .
- (5) علي الغزيوني : أدب السياسة والحرب في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرابع هجري ، ص 63 .
- (6) حسين مؤنس خير ، فجر الأندلس ، ص 396 .
- (7) علي الغزيوي ، أدب السياسة والحرب في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرابع هجري ص 75 .
- (8) المؤرخ الألماني يوسف أشياخ ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ترجمة ووضع حواشيه (محمد عبد الله عنان) ، الطبعة الثانية . نشر بعناية مؤسسة الخانجي بالقاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ص 482-483 .
- (9) ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، الجزء الرابع ، تعليق د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى سنة 1967م ، ص 23 .
- (10) عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، الطبعة الثالثة (1383هـ - 1963م) القاهرة ، ص 383 .
- (11) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر ، والمغرب والأندلس ، الطبعة الأولى (1967م) ، مكتبة النهضة المصرية ج 4 ، ص 643

- (12) أشياخ تاريخ الأندلس ، ص 482.
- (13) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي المتوفى سنة (808) هجرية ، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، الجزء السادس ، طبعة جديدة مصححة ومنقحة اعتنى بتصحيح ألفاظها والتعليق عليها ، تركي فرحان المصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت - لبنان ، ص 255.
- (14) محمود السيد ، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين ، الناشر مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية (1999م) ، ص 112 .
- (15) حسن احمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، دار الفكر العربي للنشر والطباعة - القاهرة ص 413 .
- (16) المصدر نفسه ، ص 414 .
- (17) محمود السيد ، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين ، ص 112.
- (18) المراكشي ، المعجب ، ص 235 .
- (19) أبو القاسم احمد بن محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين ، انظر المغرب ج 1 ، ص 162 .
- حسن احمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص 415 .
- (21) المراكشي ، المعجب ، ص 423 .
- (22) يوسف عروج ، النثر الفني في عهد الموحدين بالمغرب والأندلس ، رسالة ماجستير ، جامعة دمشق 1983 ، ص 38 .
- (23) شفيق الرقب ، شعر الجهاد في عصر الموحدين ، مكتبة الأقصى ، عمان - الأردن 1985 ، ص 21 .
- (24) عبد الملك بن صاحب الصلاة (594هـ - 1198م) ، تاريخ المنّ بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، الجزء الثاني ، تحقيق عبد الهادي التازي ، دار الأندلس للطباعة والنشر - بيروت ، الطبعة الأولى (1383هـ - 1964م) ، ص 437 .

- (25) المصدر نفسه ، ص 437 .
- (26) مصطفى الشكعة ، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين، بيروت ، الطبعة الثانية (1975م) ، ص 84 .
- (27) عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ، ص 142
- (28) أحمد مختار العبادي ، تاريخ المغرب والأندلس ، الطبعة الثانية ، 1986 ، ص 289 .
- (29) أشياخ ، تاريخ الأندلس ... ، ص 477 .
- (30) المصدر السابق ، ص 484 .
- (31) عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي ص 142 .
- (32) ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، القسم الثالث ، تاريخ الموحدين عني بنشره أمبروس هوريس مراندة ، ص 144 .
- (33) المصدر السابق ، ص 145 .
- (34) المصدر السابق ، ص 145 .
- (35) ابن سعيد ابي الحسين علي بن موسى (610 هـ - 685 هـ) احتضار القدر المعلق في التاريخ المحلي اختصره ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، قرئ على الدكتور طه حسين ، القاهرة ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية (1959) ص 73-74.
- (36) المقرئ ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ج3 ص 309 .
- (37) شفيق الرقب ، شعر الجهاد ، ص 27 .
- (38) اشياخ ، تاريخ الأندلس ، ص 494 .
- (39) المراكشي ، المعجب ، ص 394 .
- (40) عبد الرحمن ارشيدات ، الأندلس الزاهية ، راجعه وحققه صلاح رشيدات ، ج3، المملكة الأردنية الهاشمية - عمان ، ط ، الأول (1989) ، ص 15 .
- (41) ابن صاحب الصلاة ، المنّ ، ص 62 .
- (42) المصدر نفسه ، ص 63 .

- (43) المصدر نفسه ، ص ، 64 .
- (44) المصدر نفسه ، ص 214 .
- (45) المصدر نفسه ، ص 347 .
- (46) المراكشي ، المعجب ، ص 362 .
- (47) ابن صاحب الصلاة ، المنّ ، ص 347 .
- (48) المراكشي ، المعجب ، ص 364 .
- (49) أشياخ ، تاريخ الأندلس ، ص 494 - 495 .
- (50) المصدر نفسه ، ص 496 .
- (51) المصدر نفسه ، ص 494 - 495 .
- (52) ابن صاحب الصلاة ، المنّ 286 .
- (53) المراكشي ، المعجب ، ص 330 .
- (54) ابن صاحب الصلاة ، المنّ ، ص 237 .
- (55) شلير : هو جبل الثلج المشهور بالأندلس ، وهو بإزاء جبل البيرة ، وهو متصل بالبحر المتوسط، مقتطع بجبل رية ، مكسو بالثلج صيفاً وشتاءً . انظر صفة جزيرة الأندلس (منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، معجم جغرافي وتاريخي ، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري جمعه سنة 866 هـ . عني بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيها ، إ. ليفي بروفنسال ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1937 م ، وقف على طبعه وتصحيحه بالقاهرة (مصر) محمد فؤاد عبد الباقي .، ص 112 .
- (56) الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص 112 .
- (57) ابن سعيد المغربي ، المغرب في حلى المغرب ، حققه وعلق عليه الدكتور شوقي ضيف الطبعة الثالثة ، منقحة ، دار المعارف - القاهرة ، الجزء الأول ص 437 .
- (58) المقرئ ، النفخ ، ج 1 ، ص 432 .
- (59) ابن سعيد ، المغرب ، ج 1 ، 71 .
- (60) المقرئ ، نفح الطيب ، ج 3 ، ص 52 .

- (61) ديوان ابن خفاجة ، تحقيق الدكتور السيد مصطفى غازي ، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية ، ص 36
- (62) البهارة : الجمال .
- (63) الأزهر - الأبيض ، الأشنب - البارد .
- (64) ينصدع : ينشق
- (65) ندي المجلس : النادي .
- (66) وضاح الجبين : يريد انه مقمر ، قصير أذيال الثياب ، أي أن ظلامه لا يغطي الأرض كلها .
- (67) النور ، الزهر ، محطوط النقاب ، كناية عن تفتق أكمال الورد
- (68) ديوان ابن خفاجة ص 52 .
- (69) المقرئ ، نفح الطيب ، ج 3 ، ص 495 .
- (70) ابن سعيد ، القدح ، (ص 73 - 74) .
- (71) المقرئ ، نفح الطيب ، ج 3 ، ص 306 .
- (72) شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني ، أزهار الرياض في أخبار عياض ، ج 3 ، أعيد طبع هذا الكتاب تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة ، ص 113 - 114 .
- (73) المقرئ ، نفح الطيب ، ج 3 ، ص 316 .
- (74) فوزي سعد عيسى ، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين ، دار المعرفة الجامعية ، 40 ش سوتير - الإسكندرية ، ص 149 .
- (75) هو أحمد بن محمد بن طلحة ، من أهل جزيرة شقر ، يكنى أبا جعفر ، انظر الإحاطة ص 235 .
- (76) المقرئ ، نفح الطيب ، ج 3 ، ص 309 ، لسان الدين بن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، حققه ووضع مقدمته وحواشيه محمد عبد الله عنان ، الطبعة الثانية ، مكتبة الخانجي للنشر - القاهرة 1393هـ - 1973م ، الشركة المصرية للطباعة والنشر ، ص 238 ، ابن سعيد ، القدح ، ص 117 .

- (77) ديوان الأعمى التطيلي ، أبي جعفر أحمد بن عبد الله بن أبي هريـرة (525- هـ) ومجموعة من موشحاته ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، ص 164 .
- (78) ابن سعيد ، القدح ، ص 179 .
- (79) المصدر نفسه ص 186 .
- (80) المقرئ ، أزهار الرياض ج3 ، ص 109 .
- (81) مصطفى الشكعة ، الأدب الأندلسي ص 52 .
- (82) ابن سعيد ، القدح ، ص 144 .
- (83) ديوان ابن خفاجة ص 120
- (84) المصدر نفسه ص 85 .
- (85) أبقت ، أبدت .
- (86) المقرئ ، أزهار الرياض ، ج 3 / ص 115 - 116 .
- (87) المصدر نفسه ، ص 110 .
- (88) ابن صفوان ، أبو بحر إدريس بن صفوان ت(598هـ) ، زاد المسافرين وفراة محي الأدب السافر، إعداد عبد القادر محداد ، بيروت 1970م ، ص 147 .
- (89) المقرئ ، نفح الطيب ، ج2، ص 311 .
- (90) ديوان ابن سهل الأندلسي ، قدم له الدكتور ، إحسان عباس ، دار صادر بيروت (1387 هـ - 1967م) ، ص 373 .
- (91) ديوان ابن الزقاق البلنسي ، تحقيق ، محمود ديراني ، نشر وتوزيع دار الثقافة ، بيروت ، ص 124 .
- (92) المصدر السابق ، ص 174 .
- (93) ديوان ابن سهل الأندلسي ، ص 259 .
- (94) المقرئ ، نفح الطيب ، ج2 ، ص 285 .
- (95) ابن سعيد ، القدح ، ص 186 .
- (96) المقرئ ، النفح ، ج 4 ، ص 111 .
- (97) هنري جورج فارمر ، تاريخ الموسيقى العربية ، ترجمة حسين نصار ، راجعه ، عبد العزيز الأهواني ، الناشر مكتبة مصر - الفجالة ، ص 66 .

- (98) أبو نصر الفتح بن محمد بن عبدالله القيسي الإشبيلي الشهير بابن خاقان ، 529هـ ، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ، حققه وعلق عليه الدكتور حسين يوسف خريوش ، مكتبة المنار ، الطبعة الأولى 1409 هـ - 1989م ، ج3-4 ، ص51 .
- (99) المقرئ ، النفح ج 4 ، ص 11 .
- (100) المقرئ ، أزهار الرياض ، ج2 ، ص 209 .
- (101) ابن خفاجة ، الديوان ص 221 .
- (102) نفس المصدر ، ص 280 .
- (103¹) ابن خفاجة ، الديوان ، ص ، 325 .
- (104) ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص 925 .
- (105) ابن سعيد ، المغرب ، ج 1 ، ص 90 .
- (106) ابن الأبار ، المقتضب من تحفة القادم ، تحقيق : إبراهيم الأبياري دار الكتاب المصري - القاهرة ، دار الكتاب اللبناني - بيروت الطبعة الثالثة (1410 هـ - 1989 م) . ص 144 .
- (107) عبد الرحمن الحجي ، تاريخ الموسيقى الأندلسية ، دار الارشاد للطباعة والنشر ط 1 ، 1969 م . ص 116 .
- (108) خيال ، اسم آلة موسيقية في مدينة إشبيلية .
- (109) الكريج ، الكرجة ، الطبل ، الكرج من الملاهي .
- (110) الروطة ، أسم آلة موسيقية وترية يعزف عليها في مصاحبة الغناء استعملها أهل الأندلس .
- (111) الرباب : آلة مربعة الشكل مشدود عليها جرزة من شعر الخيل ، يعزفون عليها بقوس ، انظر قاموس الموسيقى العربية ، الدكتور حسين علي محفوظ ، دار الحرية للطباعة - بغداد 1977 ، ص 82 .
- (112) القانون : آلة مثلثة في شكل لوح تجويفه أربعة أصابع ، بلا ساعد ، شددت عليها أسلاك من الشبه لكل ثلاثة منها لحن (انظر حسين محفوظ ، قاموس الموسيقى العربية ، ص 108) .
- (113) الزلامي : المزمار .

- (114) البوق : بوف من نحاس اجوف في مقدار الذراع يتسع إلى أن يكون انفراج مخرجه في مقدار دون الكف في شكل بري القلم ، وينفخ فيه في قصبة صغيرة . تؤدي الريح من الفم إليه فيخرج الصوت ثخيناً دويّاً ، انظر حسين محفوظ ، قاموس الموسيقى العربية ، ص 68 .
- (115) رسالة إسماعيل بن محمد الشقندي ، نشرها ، صلاح الدين المنجد في كتاب ، فضائل الأندلس ، بيروت (1968 م) .
- (116) فارمر ، تاريخ الموسيقى العربية ، ص 262.
- (117) فارمر ، تاريخ الموسيقى العربية ص 251 .
- (118) حسن احمد النوش ، التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي ، دار الجيل ، بيروت، الطبعة الاولى (1992م) ، ص 70 .
- (119) ابن دحية ذي النسيبين ابي الخطاب عمر بن حسن المتوفى سنة 633هـ ، المطرب من أشعار اهل المغرب ، تحقيق ابراهيم الابياري ، حامد عبدالمجيد ، احمد احمد بدوي ، راجعه الدكتور طه حسين ، الطبعة الاميرية ، القاهرة 1954م ، ص 70 .
- (120) نفس المصدر ، ص 70 .
- (121) الضبي ، بغية الملتبس ، ص 546 ، ترجمة رقم 1591 .
- (122) المقري ، نفح الطيب ، ج 5 ، ص 73 .
- (123) المصدر نفسه ج 6 ، ص 76 .
- (124) أنظر حسن أحمد النوش ، التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي ، ص 121 .
- (125) حسن النوش ، التصوير الفني ، ... ص 122 .
- (126) ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ج 3-4 ، ص 819 .
- (127) ابن دحية ، المطرب ، ص 238.
- (128) الكالي : من كلاة ، إذا راقبه .
- (129) الكالي : من كلاة البيع ، أي مؤجل البيع .
- (130) ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص 839 .

- (131) المقرئ ، النفح ، ج 3 ، ص 225.
- (132) ابن صفوان ، زاد المسافر ، ص 108-109 .
- (133) ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص 623.
- (134) العماد الأصفهاني : محمد العماد الأصفهاني ت (597هـ) ، خريدة القصر وجريدة العصر، الجزء الثاني ، تحقيق محمد الدسوقي ، وعلي عبد العظيم ، ط دار نهضة مصر بدون تاريخ ص 52.
- (135) المقرئ ، نفح الطيب ، ج 5 / ص 16 .
- (136) الضبي ، بغية الملتمس ، ص 97 ، ترجمة 179 .
- (137) زاد المسافر ، ابن صفوان ، 109-110.
- (138) المقرئ ، نفح الطيب ج 5 ، ص 204 .
- (139) ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ج 3-4 ، ص 821 .
- (140) نفس المصدر ، ص 821 .
- (141) ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص 829 .
- (142) ابن خفاجة ، الديوان ، ص 265 .
- (143) السجندل : المرأة .
- (144) مغزل : الطيبة التي ولدها غزال .
- (145) ابن الزقاق ، الديوان ، ص 235 .
- (146) ابن خفاجة ، ديوان ، ص 54 .
- (147) ابن الزقاق ، ديوان ، ص 265 .
- (148) ابن الزقاق ، ديوان ، ص 264 - 265 .
- (149) ابن خفاجة ، ديوان ، ص 363 .
- (150) صلاح جرار ، مرج الكحل ، سيرته وشعره ، دار البشير للنشر والتوزيع ، ص 134 .
- (151) حمدي عبد المنعم محمد حسين ، (1986م) ، تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين، الناشر مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، ص 383 - 384 .

- (152) ابو عبد الله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار ،
الحلة السيراء ، ج 2 ، ويضم تراجم أهل المئات الخامسة والسادسة والسابعة ، ومن
لم يؤثر عنهم شعر ، حققه وعلق حواشيه الدكتور حسين مؤنس ، مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ، الطبعة الأولى سنة 1963 ، ص 216 .
- (153) حمدي عبد المنعم ، تاريخ المغرب والأندلس ... ص 384 .
- (154) مصطفى الشكعة ، الأدب الأندلسي موضوعاته ... ، صفحة 160 .
- (155) المرجع السابق ، ص 160 .
- (156) أبو بكر محمد بن محمد بن علي بن خميس المالقي المتوفى بعد سنة (639 هـ)
، كتاب أدباء مالقة المسمى مطلع الأنوار ونزهة البصائر والإبصار ، فيما
احتوت عليه مالقة من الأعلام والرؤساء والأخيار ، وتقييد ما لهم من المناقب وآثار
، أحققه وقدم له الدكتور صلاح جرار ، دار البشير ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة
الأولى (1419هـ) - (1999م) ، ص 250 - 251 .
- (157) علي بن ظافر الأزدي ، بدائع البدائه ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ،
ملتزم الطبع والنشر مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة (1970م) ، ص 196 .
- (158) المصدر السابق ، ص 379 .
- (159) انظر رسائل ابن حزم الأندلسي ، تحقيق ، إحسان عباس ، الطبعة الثانية ،
1987 الجزء الأول ، ص 166 .
- (160) سن احمد النوش ، التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي ص
336 .
- (161) سعد إسماعيل شلبي ، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر ، عصر ملوك الطوائف
دار نهضة مصر ، القاهرة ، 1978 ، ص 8 .
- (162) انظر د محمد صبحي أبو حسين ، صورة المرأة في الأدب الأندلسي في
عصر الطوائف والمرابطين ، اربد ، 2003 ، ص 38 .
- (163) شهاب الدين احمد النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، تحقيق ، حسين
نصار المجلس الأعلى للثقافة والهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة (1983)
الجزء الرابع والعشرون ، ص 26 .

- (164) محمود السيد ، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين ، ص 113 .
- (165) مصطفى الشكعة ، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، ص 47 .
- (166) النويري ، نهاية الأرب ... ص 26 .
- (167) النويري ، نهاية الأرب ، ج 24 ، ص 265 .
- (168) الأعمى التطيلي ، الديوان ، ص 16 - 17 - 18 .
- (169) ابن خفاجة ، الديوان ، ص 96 - 97 .
- (170) المقرئ ، النفح ، الجزء 6 ، ص 30 .
- (171) ابن سعيد ، المغرب ، ج 2 ، ص 139 .
- (172) المراكشي ، المعجب ، ص 84 .
- (173) انظر ، ص 43 هذا البحث .
- (174) انظر ابن صفوان ، زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر ، ص 108 .
- (175) ابن الأبار ، الحلة السراء ، ج 2 ، ص 69 .
- (176) الأعمى التطيلي ، الديوان ، ص 68 - 69 .
- (177) ابن بسام : ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني 543هـ ، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة بيروت - لبنان 1398هـ - 1978م ، ق 2 ، م 2 ، ص 844 .
- (178) عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ، ص 144 .
- (179) ابن حزم ، طوق الحمامة ، ص 44 .
- (180) ابن بسام ، الذخيرة ، ق 2 ، م 1 ، ص 223 .
- (181) ابن الأبار ، تحفة القادم ، ص 144 .
- (182) ابن خفاجة ، الديوان ، ص 122 - 123 .
- (183) المصدر نفسه ، ص 349 .
- (184) ابن سعيد ، رايات المبرزين وغايات المميزين لابن سعيد الأندلسي ، تحقيق الدكتور نعمان عبد المتعال القاضي ، القاهرة (1393هـ - 1973م) ، يشرف على إصداره محمد توفيق عويضة ، الكتاب الثامن والعشرون ، ص 54 .
- (185) ابن الزقاق ، الديوان ، ص 198 .

- (186) صلاح جرار ، مرج الكحل ، سيرته وشعره ، ص 68 .
- (187) ابن الزقاق ، الديوان ، ص 160
- (188) المقرئ ، النفح ، ج 5 ، ص 183 .
- (189) ابن سعيد ، رايات المبرزين ، ص 85 .
- (190) ابن الزقاق ، الديوان ، ص 74-75 .
- (191) ابن خفاجة ، الديوان ، ص 35 .
- (192) ابن الأبار ، ديوان ابن الأبار ، قراءة وتعليق الدكتور عبد السلام الهراسي - كلية الآداب - جامعة الملك سيدي محمد بن عبد الله - فاس - المغرب ، الدار التونسية للنشر 1405-1985 ، ص 251
- (193) ابن بسام ، الذخيرة ، ق 2 ، م 2 ، ص 736 .
- (194) ابن بسام ، الذخيرة ، ق 2 ، م 2 ، ص 736 - 737 .
- (195) ابن حزم ، طوق الحمامة ، ص (53-54) .
- (196) ابن بسام ، الذخيرة ، ق 2 ، م 2 ، ص 636 .
- (197) العماد الأصفهاني ، خريدة القصر وجريدة العصر ، ص 536-537 .
- (198) المصدر نفسه ، ص 543 .
- (199) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ، كتاب العمدة (في نقد الشعر وتمحيصه) شرح وضبط عفيف نايف حاطوم ، دار صادر - بيروت ، الطبعة الأولى ، (2003/1424) ، ص 433 .
- (200) المصدر نفسه ، ص 426 .
- (201) احسان عباس ، تاريخ الادب الاندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين ، دار الثقافة بيروت - لبنان ، ص 119 .
- (202) ابن الزقاق ، الديوان ، ص 228 .
- (203) أبو بكر عبد العزيز بن قبطرنة ، أصغر الاخوة الثلاث ، انظر عمر الأسعد ، ديوان رثاء الأزواج ص 149 .
- (204) عمر الأسعد ، ديوان رثاء الأزواج في الشعر العربي ، دار سبيل الإرشاد ، الطبعة الأولى (1461هـ - 1995م) ص 152 .

- (205) الأعمى التطيلي ، الديوان ، ص (70 - 73).
- (206) ابن سعيد ، رايات المبرزين ... ص 128 .
- (207) حجة ، في الأصل ، حدة .
- (208) شعر ابن جبير ، جمع وتحقيق فوزي الخطب ، منشورات دار الينابيع للنشر والتوزيع (1991م) ، ص 33 .
- (209) العماد الأصفهاني ، خريدة القصر وجريدة العصر ، القسم الرابع ، الجزء الثاني ، ص 279.
- (210) عمر الأسعد ، ديوان رثاء الأزواج في الشعر العربي ، ص 147 .
- (211) صلاح خالص ، إشبيلية في القرن الخامس الهجري ، دراسة أدبية تاريخية لنشوء دولة بني عباد في إشبيلية وتطور الحياة الأدبية فيها ، دار الثقافة : بيروت - لبنان ، 1965م ، ص 90 .
- (212) مصطفى الشكعة ، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، ص 46 .
- (213) المرجع نفسه ، ص 46 .
- (214) نزهون بنت القلاعي ، وتنسب إلى غرناطة . ويقال نزهون الغرناطية ويكتب اسم أبيها بالياء أحياناً فيقال " القليعي " وتعتبر نزهون شاعرة غرناطية في القرن الخامس الهجري .
- (215) ابن سعيد ، المغرب ، ج 2 ، ص 121 .
- (216) المقرئ ، النفح ، ج 6 ، ص 31 .
- (217) المصدر نفسه ، ص 31 .
- (218) المقرئ ، النفح ، ج 6 ، ص 32 .
- (219) مصطفى الشكعة ، الأدب الأندلسي ، ص 159 .
- (220) المقرئ ، النفح ، ج 6 ، ص 31 .
- (221) المصدر السابق ، ص 32 .
- (222) ابن سعيد ، المغرب ، ج 1 ، ص 228 .
- (223) المقرئ ، النفح ، ج 6 ، ص 32 .
- (224) المصدر السابق ، ص 27 .

- (225) المصدر نفسه ، ص 27 .
- (226) المصدر نفسه ، ص 27 .
- (227) المصدر نفسه ، ص 27 .
- (228) المصدر السابق ، ص 27 .
- (229) ذلك الوادي القريب من مجريط غير بعيد عن طليطلة ، الذي قدم لنا شاعرة عظيمة في القرن الرابع وهي (حفصة بنت حمدون الحجارّة) وهو في هذا العصر يقدم لنا شاعرة عظيمة أيضاً هي ، (أم العلاء بنت يوسف) .
- (230) ابن سعيد ، المغرب ، ج 2 ، ص 38 .
- (231) مصطفى الشكعة ، الأدب الأندلسي ... ، ص 173 .
- (232) المقرئ ، النفح ج 5 ، ص 301 ، ابن سعيد ، المغرب ، ج 2 ، ص 38 .
- (233) المصدر السابق ، ص 301 - 302 .
- (234) المصدر نفسه ، ص 301 .
- (235) ابن سعيد ، المغرب ، ج 2 ، ص 38 .
- (236) لسان الدين بن الخطيب ، الإحاطة ، ص 499 .
- (237) المقرئ ، النفح ج 5 ، ص 303 .
- (238) لسان الدين ، الإحاطة ، ص 499 .
- (239) ابن دحية ، المطرب ، ص 10 .
- (240) مصطفى الشكعة ، الادب الأندلسي ... ، ص 219 .
- (241) المقرئ ، النفح ج 5 ، ص 303 ، المغرب ج 2 ص 138 .
- (242) وقد ورد في الإحاطة ، والمقتضب ، وتحفة القادِم (أمنن عليّ بصك) .
- (243) ابن الخطيب ، الإحاطة ، ص 499 ، المقرئ ، النفح ج 5 ، ص 309 .
- (244) ابن سعيد ، المغرب ، ج 2 ، ص 139 ، النفح ، ج 5 ، ص 308 .
- (245) المقرئ ، النفح ، ج 5 ، ص 308 ، المغرب ج 2 ، ص 139 .
- (246) المصدر نفسه ، ج 6 ، ص 28 .
- (247) المصدر السابق ، ص 28 .
- (248) المقرئ ، النفح ، ج 6 ، ص 28 .

- (249) انظر الأبيات ص 58 من هذا البحث.
- (250) ابن سهل ، الديوان ، ص 239-240 .
- (251) الأعمى التطيلي ، الديوان ، ص 250 .
- (252) ابن الأبار ، الديوان ، ص 441 .
- (253) العماد الأصفهاني ، خريدة القصر وجريدة العصر ، ص 670 .
- (254) ابن الأبار ، الديوان ، ص 88 - 89 .
- (255) الرصافي البننسي ، الديوان ، ص 39 - 40 .
- (256) ابن خفاجة ، الديوان ، ص 212-213 .
- (257) ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص 744 .
- (258) العماد الأصفهاني ، خريدة القصر وجريدة العصر ، ص 306 .
- (259) هو أبو بكر بن محمد بن جهرة الأزدي ، من أهل مرسية ، انظر المقتضب ص 189 .
- (260) ابن الأبار ، المقتضب من تحفة القادم ، ص 189 .
- (261) المصدر نفسه ، ص 189 .
- (262) ابن خفاجة ، الديوان ، ص 152 .
- (263) ابن خفاجة ، الديوان ، ص 266 .
- (264) عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص 370 .
- (265) صلاح جرار ، مرج الكحل سيرته وشعره ، ص 117 .
- (266) هو أبو القاسم محمد بن محمد بن نوح الغافقي من أهل بلنسية وقاضيهما، ت(614هـ) ، انظر تحفة القادم ص 77 .
- (267) ابن الأبار ، تحفة القادم ، ص 77 .
- (268) ابن الأبار ، تحفة القادم ، ص 69 .
- (269) ابن صاحب الصلاة ، المن ، ص 461 .
- (270) ابن الأبار ، الديوان ، ص 388 .
- (271) العماد الأصفهاني ، خريدة القصر وجريدة العصر ، ص 271 .
- (272) ابن الأبار ، الديوان ، ص 390 .

- (273) ابن بسام ، الذخيرة ، ق 3 ، م 2 ، ص 785 .
- (274) هو أبو الحسن علي بن لب بن شلبون المعافري ، من أهل بلنسية ، انظر المقتضب ص 203.
- (275) ابن الأبار ، المقتضب من تحفة القادم ، ص 203 .
- (276) انظر 47 من هذا البحث .
- (277) العماد الاصفهاني ، خريدة القصر وجريدة العصر ، ص 514-515 .
- (278) ابن خفاجة ، الديوان ، ص 183 .
- (279) ابن الأبار ، الديوان ، ص 287 .
- (280) ابن سعيد ، القدح ، ص 141 .
- (281) انظر ص 41 من هذا البحث .
- (282) أبو بكر محمد الأعمى المخزومي ، قال عنه لسان الدين الخطيب في الإحاطة ، ج 1 ، ص 260 كان أعمى شديد الشر معروفاً بالهجاء مسلطاً على الأعراض ، سريع الجواب ، ذكي الذهن للمعاريض ، سابقاً في ميدان الهجاء ، فإذا مدح ضعف شعره .
- (283) أبو بكر يحيى بن سحل اليكي ، هجاء المغرب ، انظر ابن سعيد ، المغرب ، ج 2 ، ص 266 .
- (284) ابن سعيد ، المغرب ، ج 1 ، ص 230 .
- (285) الأعمى التطيلي ، الديوان ، ص 1 - 3 .
- (286) المقرئ ، النفح ، ج 3 ، ص 490 .
- (287) ابن سعيد ، المغرب ، ج 2 ، ص 127-128 .
- (288) المصدر نفسه ص 128 .
- (289) ابن خفاجة ، الديوان ، ص 369 .
- (290) ابن سعيد ، المغرب ، ج 2 ص 267-268 .
- (291) ابن سعيد ، القدح ، ص 203 .
- (292) المقرئ ، النفح ، ج 3 ، ص 448 .
- (293) ابن الزقاق ، الديوان ، ص 295 .

- (294) ابن سعيد ، المغرب ، ج 2 ، ص 128 .
- (295) ابن صفوان ، زاد المسافر ، ص 80 .
- (296) محمد مجيد السعيد ، الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس ، ص 246 .
- (297) ابن بسام ، الذخيرة ، ق 2 ، م 2 ، ص 845 .
- (298) محمد مجيد السعيد ، الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس ، ص 246 .
- (299) ابن سعيد ، المغرب ، ج 2 ، ص 214 .
- (300) محمد مجيد السعيد ، الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس ، ص 248 .
- (301) محمد مجيد السعيد ، الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس ، ص 248 .
- (302) صلاح جرار ، مرج الكحل ، حياته وشعره ، ص 82 .
- (303) المصدر نفسه ، ص 83 .
- (304) المصدر نفسه ، ص 83 .
- (305) إشارة الى قوله تعالى ((ان الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها)) ، سورة النمل ، آية 43 .
- (306) إشارة الى قوله تعالى ((أينما يوجهه لا يأت بخير)) ، سورة النحل ، آية 76 .
- (307) انظر ص 63 من هذا البحث .
- (308) صلاح جرار ، مرج الكحل سيرته وشعره ، ص 74 .
- (309) ابن خفاجة ، الديوان ، ص 248 .
- (310) الجنس الناقص: وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد أو اكثر من أمور أربعة هي : نوع الحروف وشكلها ، وعددها ، وترتيبها . انظر جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع ، تأليف السيد احمد الهاشمي ، شرح وتحقيق حسن حمد ، دار الجيل ، طبعة جديدة محققة 2002 م ، ص 243 .

- (311) الطبايق : هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام ، أنظر السيد احمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص 221 .
- (312) ديوان الرصافي البلنسي ، أبي عبد الله محمد بن غالب ، جمعه وقدم له الدكتور إحسان عباس ، دار الشروق ، الطبعة الثانية ، مزيده ومنقحة (1403هـ - 1983م) ، ص 60 .
- (313) الرصافي ، الديوان ، ص 117 .
- (314) المقابلة : وهي أن يؤتى بمعنيين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك علي الترتيب ، أنظر السيد احمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص 221 .
- (315) ابن خفاجة ، الديوان ، ص 359 .
- (316) محمد مجيد السعيد ، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس ، الجمهورية العراقية منشورات وزارة الثقافة والإعلام - 1980 ، دار الرشيد للنشر - سلسلة دراسات (161) ص 342 .
- (317) التورية : هي استعمال كلمة لها معنيان ، معنى قريب يسرع إلى الذهن ولا يكون مقصوداً ، ومعنى بعيد هو المراد ، انظر سيد احمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص 218 .
- (318) محمد مجيد السعيد ، الشعر في عهد المرابطين والموحدين ، ص 343 .
- (319) ابن سعيد ، القدح ، ص 185 .
- (320) ابن الأبار ، المقتضب ، ص 179 .
- (321) العماد الأصفهاني ، خريد القصر وجريدة العصر ، 460 .
- (322) ابن سهل ، الديوان ، 267 .
- (323) فوزي عيسى ، الشعر في عهد الموحدين ، ص 244 .
- (324) المقرئ ، النفح ج 2 ، ص 384 .
- (325) الأعمى التطيلي ، الديوان ، ص 25 .
- (326) القرشي ، جمهرة أشعار العرب ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت (1163) ص 271 .

- (327) الأعمى التطيلي ، الديوان ، ص 172 .
- (328) المتنبى احمد بن الحسين الكندي ت (354هـ)، الديوان ، شرح أبي البقاء العكبري ، ضبط وتصحيح مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلبي ، مصر - مطبعة الحلبي ، الجزء الرابع 936م ، ص 135 .
- (329) ابن سهل ، الديوان ، ص 190 .
- (330) المتنبى ، الديوان ، ج4 ، ص 108 .
- (331) الأعمى التطيلي ، الديوان ، ص 8 .
- (332) ابن بسام ، الذخيرة ، ق 2 ، م 1 ، ص 313 - 314 .
- (333) ابن صفوان ، زاد المسافر ، ص 135 .
- (334) ابن خفاجة ، الديوان ، ص 76 .
- (335) ابن هانيء ، محمد بن سعدون الأزدي ، ت (362هـ) ، الديوان ، تحقيق كرم البستاني ، بيروت دار صادر 1952م ، ص 264 .
- (336) ابن سهل ، الديوان ، ص 223 .
- (337) ابن سهل ، الديوان ، ص 253 .
- (338) المصدر نفسه ، ص 255 .
- (339) المصدر نفسه ، ص 264 .
- (340) انظر ص 20 من هذا البحث .
- (341) إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، مطبعة الانجلو - القاهرة ، (1965م) ص 442 .
- (342) محمد مجيد السعيد ، الشعر في عهد المرابطين والموحدين ، ص 348 .
- (343) فوزي عيسى ، الشعر في عهد الموحدين ، ص .
- (344) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 304 .
- (345) ابن سهل ، الديوان ، ص 75 .
- (346) المقرئ ، النفح ، ج1 ، ص 693 .
- (347) ابن خفاجة ، الديوان ، ص 248 .
- (348) انظر ابن سعيد ، اختصار القدح ، ص 182 .

- (349) المصدر نفسه ، ص 30 .
- (350) ابن الأبار ، المقتضب ، ص 98 .
- (351) سيسل دي لويس ، الصورة الشعرية ، ترجمة الدكتور احمد نصيف الجنّابي ، مالك ميري ، سلمان حسن إبراهيم ، مراجعة الدكتور عناد غزوان إسماعيل ، ص 21 .
- (352) أنظر الولي محمد ، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي ، الطبعة الأولى ، 1990 ، الناشر المركز الثقافي العربي ، بيروت - لبنان ، ص 19 .
- (353) أنظر ص 71 من هذا البحث .
- (354) ابن خفاجة ، الديوان ، ص 280 .
- (355) الرصافي ، الديوان ، ص 78 .
- (356) فوزي عيسى ، الشعر في عهد الموحدين ، ص 236 .
- (357) انظر ص 27 من هذا البحث .
- (358) المقرئ ، النفح ، ج 1 ، ص 169 .
- (359) ابن سهل ، الديوان ، ص 244 0
- (360) صلاح جرار ، مرج الكحل سيرته وشعره ، ص 67 .
- (361) ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص 819 .
- (362) الرصافي ، الديوان ، ص 109 .
- (363) ابن خفاجة ، الديوان ، ص 281-282 .
- (364) انظر ص 46 من هذا البحث .
- (365) فوزي عيسى ، الشعر في عهد الموحدين ص 239 .
- (366) فوزي عيسى ، الشعر في عهد الموحدين ص 238 .
- (367) انظر ص 89 من هذا البحث .

المراجع

ابن الابار، أبو عبدالله محمد بن الابار القضاعي البلنسي (595-658 هـ: د.ت) **تحفة القادم**، أعاد بناءه وعلق عليه إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي.

ابن الابار، أبو عبدالله محمد بن الابار القضاعي البلنسي (595-658هـ) سنة 1963: **الحلة السيرة**، الجزء الثاني، ويضم تراجم أهل المئات الخامسة والسادسة والسابعة ومن لم يؤثر عنهم شعر، حققه وعلق حواشيه حسين مؤنس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة، الطبعة الأولى.

ابن الابار، أبو عبدالله محمد بن الابار القضاعي البلنسي (595-658هـ): 1985 **ديوان ابن الابار**، قراءة وتعليق الدكتور عبد السلام الهرّاس، أستاذ الأدب الأندلسي - كلية الآداب - جامعة الملك سيدي محمد بن عبدالله - فاس - المغرب، الدار التونسية للنشر.

ابن الابار، أبو عبدالله محمد بن الابار القضاعي البلنسي (595-658هـ): 1989م **المقتضب من تحفة القادم**، تحقيق ابراهيم الابياري، دار الكتاب المصري - القاهرة، دار الكتاب اللبناني - بيروت - الطبعة الثالثة.

العبدّاي احمد مختار، (1986م)، **تاريخ المغرب والأندلس**، الطبعة الثانية. ارشيدات، عبدالرحمن، 1989م، **الأندلس الذهبية**، تعريب عبدالرحمن ارشيدات، راجعه وحققه صلاح ارشيدات، الجزء الثالث، المملكة الاردنية الهاشمية - عمان، الطبعة الأولى.

الأزدي، علي بن ظافر الأزدي، 1970م، **بدائع البدائه**، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ملتزم الطبع والنشر، مكتبة الانجلو المصرية- القاهرة.

الأسعد، عمر الأسعد، (1416هـ - 1995م)، **ديوان رثاء الأزواج في الشعر العربي**، دار سبيل الرشاد، الطبعة الأولى.

الشقندي، إسماعيل بن محمد، (1968م)، **رسالة إسماعيل بن محمد**، نشرها صلاح الدين المنجد في كتاب فضائل الأندلس، بيروت.

أشياخ : المؤرخ الألماني يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمه ووضع حواشيه (محمد عبدالله عنان)، الطبعة الثانية، نشر بعناية مؤسسة الخانجي بالقاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

الأعمى التطيلي : أبو جعفر احمد بن عبدالله بن أبي هريرة (525 هـ)، (د.ت) ديوان الأعمى التطيلي ومجموعة موشحاته، تحقيق إحسان عباس.

الأندلسي، ابن حزم الأندلسي: 1987م رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، الجزء الأول.

الأندلسي، ابن حزم الأندلسي: 1980م طوق الحمامة في الألف والآلاف تحقيق صلاح الدين القاسمي، دار بوسلامه للطباعة والتوزيع، تونس.

أنيس ابراهيم، 1965، موسيقى الشعر، مطبعة الانجلو - القاهرة.

ابن بسام : أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (543)، 1398هـ - 1978م، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس دار الثقافة، بيروت - للبنان.

الحجي، عبدالرحمن الحجّي، 1969م، تاريخ الموسيقى الأندلسية، دار الارشاد للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.

حسن، ابراهيم، 1967م، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس، الطبعة الأولى مكتبة النهضة المصرية، الجزء الرابع.

حسن، احمد محمود، (د.ت) قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي للنشر والطباعة - القاهرة.

حسين، علي محفوظ، 1977، قاموس الموسيقى العربية، دار الحرية للطباعة - بغداد.

أبو حسين، محمد صبحي، 2003م، صورة المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، اريد.

حسين، مؤنس خير، 1405هـ - 1985م ، فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس، من الفتح الإسلامي الى قيام الدولة الأموية، الدار السعودية للنشر

والتوزيع، الطبعة الثانية.

حمدي، عبد المنعم محمد حسين، 1986م، تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين، الناشر مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع - الإسكندرية.

الحميري : أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم الحميري، 1937م (د.ت) صفة جزيرة الأندلس (منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار)، معجم جغرافي وتاريخي، جمعه سنة (866هـ)، عني بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيها، أ. لافي بروفنصال، القاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، وافق على طبعه محمد فؤاد.

ابن خاقان : أبو نصر الفتح بن محمد بن عبدالله القيسي الاشبيلي الشهير بابن خاقان، (1409هـ - 1989م)، (د.ت) قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، حققه وعلق عليه حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار، الطبعة الأولى الجزء الثالث والرابع. الخطبا، فوزي، 1991م، شعر ابن جبير، منشورات دار الينابيع للنشر والتوزيع. الخطيب، لسان الدين بن الخطيب، (1393هـ - 1973م)، (د.ت) الإحاطة في أخبار غرناطة، حققه ووضع مقدمته وحواشيه، محمد عبدالله عنان، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي للنشر - القاهرة الشركة المصرية للطباعة والنشر.

جرار، صلاح جرار، 1993م، مرج الكحل الأندلسي سيرته وشعره، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان - الاردن.

خالص صلاح، 1965م، إشبيلية في القرن الخامس الهجري، دراسة أدبية تاريخية لنشوء دولة بني عباد في إشبيلية وتطور الحياة الأدبية فيها، دار الثقافة، بيروت - لبنان.

ابن خفاجة، 1961م ديوان ابن خفاجة، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت.

ابن خلدون : العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي ت 808 هـ، (د.ت) تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الجزء

السادس، طبعة جديدة مصححة ومنقحة، اعتنى بتصحيح ألفاظها والتعليق عليها (تركي فرحان المصطفى)، دار إحياء التراث العربي - مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان.

ابن خميس: أبو بكر بن محمد بن علي بن خميس المالقي ت(639هـ)، (1999م)، كتاب أدباء مالقة المسمى مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار فيما احتوت عليه مالقة من الأعلام والرؤساء والأخبار وتقييد ما لهم من المناقب والآثار، حققه وقدم له صلاح جرار، دار البشير - مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

ابن دحية: أبو الخطاب عمر بن حسن ت(633هـ)، (1954م)، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، وحامد عبد المجيد، واحمد احمد بدوي، راجعه طه حسين، الطبعة الأميرية - القاهرة.

الدقاق، عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، دار الشرق العربي، بيروت. الرصافي البلسني: أبو عبدالله محمد بن غالب، ديوان الرصافي البلسني، جمعه وقدم له إحسان عباس.

الرقب، شفيق محمد عبدالرحمن، 1985م، شعر الجهاد في عصر الموحدين، مكتبة الأقصى، عمان - الاردن.

ابن الزقاق البلسني، ديوان ابن الزقاق، تحقيق محمود ديراني، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت - لبنان.

سعد، إسماعيل شلبي، 1978م، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، عصر ملوك الطوائف، دار نهضة مصر - القاهرة.

ابن سهل الأندلسي، (1387هـ - 1967م)، ديوان ابن سهل، قدم له إحسان عباس - دار صادر - بيروت.

السعيد، محمد مجيد السعيد، 1980م، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر - سلسلة دراسات 161.

ابن سعيد: أبو الحسن علي بن موسى (610هـ - 685هـ) 1959م اختصار القدر المعلى في التاريخ المحلى، اختصره أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل، تحقيق إبراهيم الأبياري، قرئ على طه حسين القاهرة، الهيئة العامة لشؤون

المطابع الأميرية.

ابن سعيد: أبو الحسن علي بن موسى (610هـ - 685هـ) 1973م رايات
المبرزين وغايات المميزين، تحقيق النعمان عبد المتعال، القاضي القاهرة،
يشرف على إصداره محمد توفيق عويضة، الكتاب الثامن والعشرون.

ابن سعيد : أبو الحسن علي بن موسى (610هـ - 685هـ) (د.ت) المغرب في حلى
المغرب، لإبن سعيد المغربي، حققه وعلق عليه شوقي ضيف، طبعة الثالثة منقحة، دار
المعارف، القاهرة، الجزء الأول والثاني.

السيد، احمد الهاشمي، 2002م جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، شرح
وتحقيق حسن حمد، دار الجيل، طبعة جديدة محققة.

السيد، محمود، 1999م، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، الناشر مؤسسة شباب
الجامعة الإسكندرية.

سيسل دي لويس، الصورة الشعرية، ترجمة احمد نصيف الجنابي، مالك ميري،
سلمان حسن إبراهيم، مراجعة عناد غزوان إسماعيل.

الشكعة، مصطفى، 1975م، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه دار العلم للملايين،
بيروت، الطبعة الثانية.

ابن صفوان: أبو بحر إدريس بن صفوان، ت(598هـ)، 1970م، زاد المسافر وفرة
محيا الأدب السافر، إعداد عبدالقادر محداد، بيروت.

الضبي، احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة ت (599هـ)، 1967م، بغية الملتبس
في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي.

عباس إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة،
بيروت - لبنان.

عبدالملك بن صاحب الصلاة (594هـ - 1198م)، (1383هـ - 1964م)، تاريخ
المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمةً وجعلهم الوارثين، الجزء
الثاني، تحقيق عبدالهادي التازي، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة
الأولى.

عتيق، عبدالعزيز، 1976م، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة
والنشر - بيروت.

عروج، يوسف، 1983م، النثر الفني في عهد الموحدين بالمغرب والأندلس، رسالة ماجستير، جامعة دمشق.

العماد الأصفهاني: محمد العماد الأصفهاني، ت(597هـ)، بدون تاريخ، خريدة القصر وجريدة العصر، الجزء الثاني، تحقيق عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم، طبعة دار نهضة مصر.

عيسى، فوزي سعد، (د.ت) الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، دار المعرفة الجامعية، 40 ش سوتير - الإسكندرية.

الغزيوي، علي، أدب السياسة والحرب في الأندلس من الفتح الإسلامي الى نهاية القرن الرابع هجري، مكتبة المعارف للنشر، الرباط.

فارمر، هنري جورج، تاريخ الموسيقى العربية، ترجمة حسين نصار، راجعه عبد العزيز الاهواني، الناشر مكتبة مصدر - الفجالة.

القرشي، أبو زيد، 1963م، جمهرة أشعار العرب، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت.

القيرواني : أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، (1424هـ - 2003م) كتاب العمدة في نقد الشعر وتمحيصه، شرح وضبط عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

المتنبي، احمد بن الحسين الكندي، ت(354هـ)، 1936م، ديوان المتنبي، شرح أبي البقاء العكبري، ضبط وتصحيح مصطفى السقا و ابراهيم الابياري، وعبد الحفيظ شلبي، مصر - مطبعة الحلبي، الجزء الرابع.

المراكشي، عبد الواحد، (1383هـ - 1963م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق (محمد سعيد العريان)، الطبعة الثالثة، القاهرة.

المراكشي، ابن عذارى المراكشي، 1967م البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الرابع، تعليق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ، والقسم الثالث، تاريخ الموحدين عني بنشره امبروس هويس مراندة.

المقري : الشيخ احمد بن محمد المقري التلمساني المتوفي في عام (1041هـ)
(د.ت) أزهار الرياض في أخبار عياض، الجزء الثاني والثالث، أعيد طبع هذا
الكتاب تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة
المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة.

المقري : الشيخ احمد بن محمد المقري التلمساني المتوفي في عام
(1041هـ)، (د.ت) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها
لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، محمد محي الدين، دار صادر -
بيروت، مطبعة السعادة - القاهرة.

النوش، حسن احمد، 1992م، التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر
الأندلسي، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى.

النويري : شهاب الدين احمد، 1983م، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق حسين
نصار، المجلس الأعلى للثقافة والهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، الجزء
الرابع والعشرون.

ابن هاني، محمد بن سعدون الازدي، ت (362هـ)، 1952م، ديوان ابن هاني،
تحقيق كرم البستاني، بيروت دار صادر.

الولي محمد، 1990م، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، الطبعة
الأولى، الناشر المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان.